

kuwait.net
منتديات ياكويت

وزارة التربية

الطبعة الثانية

نهاية القرآن

الجزء الثالث والعشرون

للمصحف العثماني

٢٣





وزارة التربية

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الجزء الثالث والعشرون

للصف الأول الثانوي بالتعليم العام

وما في مستواه

تأليف

محمد محمد عبد الحليم الشيخ (مشرف)

محمد عبد العزيز حسن عطية محمد حسن الشامي

الطبعة الثانية

١٤٢١ هـ

م٢٠٠١ - ٢٠٠٠

حقوق الناشر والمطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية بدولة الكويت - قطاع البحوث التربوية والناشر

إدارة المناهج والكتب

الطبعة الأولى - ١٩٨٩ م

الطبعة الثانية - ١٩٩٠ م

م ١٩٩٤ - ١٩٩٣

م ١٩٩٦ - ١٩٩٥

م ١٩٩٩ - ١٩٩٨

م ٢٠٠١ - ٢٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِرَحْمَةِ اللَّهِ الَّذِينَ أَنْتُمْ تُسْكِنُونَ وَالَّذِينَ أُوتُوكُمُ الْعَلْمَ دَرَجاتٌ

صَدِيقُ اللَّهِ الْمَطْهُومِ
سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ (١١)

إِهْدَاءٌ

إِلَى أَبْنَائِنَا الطَّلَابِ وَالْمَطَالِبَاتِ الَّذِينَ يَتَحَلَّلُونَ إِلَى الْعَلَا مُتَخَذِّينَ مِنَ
الْعِلْمِ سَلَماً إِلَى مَجْدِ أَمْتِهِمْ.

إِلَى الْإِخْرَوَةِ الَّذِينَ مِنَ الْمُعْلِمَاتِ وَالْمُعْلِمِينَ الَّذِينَ تَعْتَزُ بِعِطَايَتِهِمْ فِي
سَعْيِهِمْ تَحْوِي تَهْدِيبَ النَّفْوسِ وَالْعُقُولِ.

إِلَى الَّذِينَ لَا تَعْرِفُ الْأَثْرَةَ سَبِيلًا إِلَى نَفْوِهِمْ مِنَ الْعَامِلِينَ فِي الْحَقْلِ
الْتَّرَبُويِّ تَوْصِيَّهَا وَتَالِيَّهَا وَتَقْوِيَّهَا وَتَعْدِيلَاهَا فَكَانُوا الْمُتَلِّ وَالْمُقْدُوَّةُ فِي تَقْدِيمِ
الْجَهْدِ وَالْوَقْتِ؛ لِيَشْمَرَ مَا قَدَّمَهُ زَادًا لِأَبْنَائِنَا يَكْسِبُهُمْ عَنْفُوَانِ الْعِلْمِ
وَثَبَاتِ الْخَطَا.

إِلَى كُلِّ مَنْ ساهمَ فِي إِعْدَادِ هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْفَضَّلِيِّينَ وَالْمُخْرَجِينَ
وَالْعَامِلِينَ فِي الْمَطَابِعِ.

إِلَى كُلِّ هُؤُلَاءِ تَقْدِيمُ إِدَارَةِ الْمَتَاهِجِ بِخَالِصِ الشَّكْرِ وَالْتَّقْدِيرِ،

الْوَكِيلِ السَّاعِدِ لِشَلَوْنِ الْبَحْثُوْتِ التَّرَبُويِّ وَالْمَطَابِعِ
عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْحَالِيَّةِ الرَّجِيمِ.

مُدِيرُّ إِدَارَةِ الْمَتَاهِجِ

عَبْدِ اللَّهِ الْعَيْمَوْنِ

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
٩	سورة يس
٣٩	سورة العنكبوت
٩١	سورة مريم
١٢٩	سورة الزمر

«المقدمة»

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي جعل في السماء بروحاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً متيناً. ونصلّى ونسلم على من أرسله الله باهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وجعل له من لدنه سلطاناً نصيراً.

أما بعد:

فهذا تفسير للجزء الثالث والعشرين من كتاب الله الكريم، راعينا فيه الإيجاز بلا إخلال، والتفصيل عند الحاجة بلا إملال. مع الحرص على سهولة العرض، ووضوح العبارة، والالتزام بمنهج السلف الصالح في التفسير بالتأثر، فإن لم تجد ففي لغة العرب متسع للباحث الصبور، فإن القرآن نزل بلغة العرب كما قال تعالى:

«وَكَذَلِكَ أُوحِيَنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا تُتَبَدَّلُ أَمْ القُرْآنِ وَمَنْ حَوْقَنَ وَتَبَدَّلَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَرَبِّ فِيهِ»^(١).

فنسأله أن يتقبل منا عملنا هذا، ويحمله في حساناتنا، ويتجاوز برحمته عن سباتنا، ونسأله سبحانه أن ينفع به كاتبه وقارئه ومن أعاد عليه.
والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفوا.

المؤلفون

(١) سورة الترسير الآية ٧.

سُورَةُ يُسْرَىٰ مَكَّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا تِلْمِعُ وَتَنْبَغِي
نَزَّلَتْ بَعْدَ الْجُنُونِ

سورة: «يس»

التمهيد:

هذه السورة مكية ، والقرآن الكريم في هذه الفترة التي عاشها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في مكة ، كان يأخذ بأيدي الناس من ظلمات العقاد الباطلة ، إلى نور العقيدة الصحيحة ..

ومن عادة الأئم إلى عادة الرحمن ، ومن الظلم والجهل إلى الطريق المستقيم .

وفي هذه السورة تأكيد لصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وأنه مبعوث من عند الله تعالى ، وأن القرآن الكريم كتاب حكمة وعهد ، وأنه نزل رب العالمين ، وأن الرسول مكلف بتبلغ الرسالة لمؤلاه المشركين ، لاعرائهم مما هم فيه من شرك وضلال إلى صراط الله المستقيم .

وتعرض السورة لأحوال بعض الأمم السابقة ، وما كان من شأنهم مع رسليهم ، وحال أهل الكفر منهم ، وكيف سخروا من رسليهم واستهزأوا بهم ، وكفروا برسليهم ، وجعلوا آياته ، وأنكروا فضله ، واستبعدوا إمكان البصائر والحساب ، وعبدوا غير الله ، واستنصروا أصناماً صنعوا بأيديهم ، واتبعوا خطوات الشيطان .

وفي كل ذلك تبيّن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم ، لما يلقاه من قومه من التكذيب والعناد .

وفيه - أيضاً - تذكرة لنُرسل إليهم ، وعبرة تتخذه على طريق التجاة قبل فوات الأوان .

ونشرح الآيات ما كان من شأن المجاحدين المذكرين ، والكافر المعاذنين ، من الأمم السابقة .. وكيف سلط الله عليهم جنده ، فأبادهم وشلت شلتهم ، وفي الآيات بيان لما يتظار لهم في الآخرة جراء كفرهم وعنادهم ، يوم لا ينفع الناس إلا ما

قدمت أيديهم ، من الأعمال الصالحة ، القائمة على الإيمان الصادق ، واليقين
الراشد ، والابتعاث السليم .

وتقديم السورة دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى ، وتمدد يغفر الكثيرة على
الخلق ، كما تقدم أدلة البعث ، وتبين أن رحمة الله في تأخير العذاب عن العصاة فتح
باب الرجوع والتوبة .

وتقديم السورة كذلك صور البعث والحساب ، ونعم أهل الجنة ، وعذاب أهل
الجحيم . وتكشف أيامها الكريمة عن معاندة الكفار لرسول الله - حسن الله عليه وسلم
- في مكنته ، وتعنتهم معه ، وخداعهم بالباطل ، وإيهامهم له ، ووصفهم إياه بأنه
شاعر ، وأن ما جاء به شعر ، وتبين الآيات كيف أبطل القرآن هذه المزاعم .

وتحتدم السورة بيان قدرة الله الخفية ، وإرادته النافذة ، وسعة علمه ، وعظيم
سلطانه ، وتزدهر عن كل ما لا يليق بحاله ، وأن إليه المرجع ولئن

* * *

١

الآيات من ٤٤ - ٢٨ من سورة «يس»

* وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا كُمَا مُزَرِّلِينَ ① إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْغَةٌ وَاحِدَةٌ فَلَمَّا هُمْ
خَنِدُونَ ② يَنْحَسِرُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا كَانُوا يَهْرُبُونَ ③ يَسْتَهِزُونَ ④ الْأَرْرَواكُمْ أَهْلَكَ قَبْلَهُمْ
مِنَ الْقُرُونِ أَنْهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ⑤ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا
جَعَلْنَا لَهُمْ خَصْرَوْنَ ⑥ وَهَا يَهْرُبُونَ الْأَرْضُ الْمُبَتَّةُ
أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجَنَاهَا حَاجَةً يَا كُوْنَ ⑦ وَجَعَلْنَا فِيهَا
جَنَّتِ مِنْ تَحْبِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَحْرَنَا فِيهَا مِنْ أَلْعَبِنَ ⑧
لِيَا كُوْنَا مِنْ تَمَرِيدٍ وَمَا عَلِمْنَا أَنْهُمْ أَفَلَا يَسْكُونَ ⑨
سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا مَا سَبَّبَتِ الْأَرْضُ
وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَا لَا يَعْلَمُونَ ⑩ وَهَا يَهْرُبُونَ الْأَبْلُ

تَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ③ وَالثَّمْسُ
 تَبْرِي لِمُسْتَقْرِئِهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ④
 وَالْقَمَرُ قَدْرُهُ مَنَازِلٌ حَتَّى عَادَ كَالْعَرَجُونَ الْقَدِيمِ ⑤
 لَا أَنْتَمْ يَتَبَعُّنَ مَا أَنْتُرَكَ الْقَمَرُ وَلَا الْبَلُ سَاقِ
 النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَاكِ يَسْبُحُونَ ⑥ وَأَيْمَانُهُمْ أَنَا حَتَّى
 فَرِيَتُهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمُتَحُوْنِ ⑦ وَخَلَقْتُهُمْ مِنْ مِثْلِهِ
 مَا يَرَكُبُونَ ⑧ وَإِنْ تَشَغَّلُهُمْ فَلَا صَرِيعٌ لَهُمْ وَلَا
 هُمْ يُنَقَّدُونَ ⑨ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَنْدَعًا إِلَّا حِينَ ⑩

معاني الكلمات والجمل :

- | | |
|---------------------|--|
| قوسه : | أهله ومن يقيم بينهم . |
| جند من النساء : | الجنود : العساكر وهم هنا : الملائكة . |
| إن كانت إلا صيحة : | الصيحة : الصورت الشديدة العالية .. وتكون مقدمة للعناب والمعنى ما كانت إلا صيحة هلكوا بعدها . |
| خامسون : | هالكتون ميليون . |
| يا حسرة على العاد : | الحرارة : الحرارة على ما غات والثتم على . |
| والزاد : | شدة الندم والأسف على فعلهم ، فما أشد الأسف والندم على هؤلاء المكذبين لرسولهم . |

أَمْ يَرَوْا وَيَعْلَمُوا .	أَمْ يَرَوْا
: الْأَمْ السَّابِقَةِ .	الْقَرْوَنِ
: كُلُّ النَّاسِ بِمَجْمُوعِهِ حَاضِرُونَ عِنْدَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ	وَإِنْ كُلُّ مَا جَعَلَ
لِلْحَابِ وَالْجَزَاءِ .	لَدِينَا مُخَضِّرُونَ
: عَلَامَةٌ لَهُمْ وَدَلِيلٌ عَلَى الْبَعْثِ .	آيَةٌ لَهُمْ
: الْأَرْضُ الَّتِي أَحْيَيْنَاهَا	الْأَرْضُ الَّتِي أَحْيَاهَا
الْبَاتِ وَأَعْمَرْنَاهَا .	الْبَاتِ وَأَعْمَرْنَاهَا .
جَاتِ	
: حَادِقَ ذَوَاتِ أَشْجَارِ وَخَيْلِ .	
فَجَرَتِ	
: شَفَقَتِ وَقَحَّا .	
وَمَا عَمِلَهُ أَيْدِيهِمْ	
: أَيْ : الَّذِي زَرَعَهُ أَوْ صَنَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ كَالْعَصِيرِ وَخَوْهِ .	
سَبَحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلُّهَا : تَعَالَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَصْنَافَ وَالْأَنْوَاعَ جَمِيعًا .	
تَسْلُخُ مِنَ التَّهَارِ	
: تَفَصِّلُ وَتَنْتَعُ التَّهَارُ مِنَ اللَّيلِ وَتَنْهَبُ ضَوْءَهُ .	
لَسْتَرُ لَهَا	
: لِكَانَ اسْتَقْرَارُهَا وَهُوَ مَدَارُهَا الَّذِي تَدُورُ فِيهِ .	
فَدَرَنَاهُ مَنَازِلَ	
: حَدَّدَنَا أَمَانَكَنْ زَرْوَلَهُ كُلُّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشَّهْرِ الْعَرِبيِّ .	
عَادَ كَالْمُرْجُونَ الْقَدِيمَ	
: صَارَ وَتَعْوُلَ مِثْلُ الْمَوْدِ الْقَدِيمِ الْمَقْوُسُ الَّذِي كَانَ	
بِعْلَ أَغْصَانَ الْمَحْرَفِيَّةِ .	
لَا تَسْمِسْ بَيْنِي لَهَا	
: لَا يَصْلُحُ لَهَا وَلَا يَعْكِبُهَا .	
كُلُّ فِي قَلْبِي يَسْبِحُونَ	
: كُلُّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَسِيرُ فِي مَدَارٍ لَا يَتَعَادُهُ ،	
وَلَا يَخْرُجُ عَنِهِ .	
ذَرْتُهُمْ	
: الْمَرَادُ هَذَا آتَؤُهُمْ وَأَجْدَادُهُمْ ، وَهِيَ تَطْلُقُ عَلَى	
الْأَيَّامِ وَالْأَيَّامِ .	
الْفُلُكُ	
: السَّفَنَةِ .	
الْمَشْحُونُ	
: الْمَلْوِيَّ الْمَدْحُومِ .	
لَا صَرِيقٌ لَهُ	
: لَا تُبَيِّنُتْ وَلَا مُخْدِلٌ لَهُ مِنَ الْعَرْقِ .	

الشرح

هوان أهل المعصية :

حين كتب أهل مكة رسول الله - صل الله عليه وسلم - أمره به أن يضرب لهم مثلاً يأهل القرية التي جاءها رسول الله فكتبوهم ، فجاءهم واحد منهم بدعوه إلى تقبل الدعوة ، والاستجابة لهدى الله ، وأعلن أمامهم إيمانه لهم بيشهوه ، فما كان منهم إلا أن قتلوه ، فبشرته الملائكة بجهة الله ومحقرته .

حين ذلك ظنّ أن يعرف قومه مكانه عند الله ، ومتى ذهبت جراة إيمانه وحسن استجابة الدعوة الحق ، ولكن قومه حين لم يتفهم التصح والتذدير ، ووسموا في الأثم الكبير بقتلهم من يدعوهم إلى الحق ، وما يصلح حياتهم وآخريهم .. بل أسرروا على الصلاة والباطل ، ما كانوا يستحقون - وحالموا هو هذا الحال - أن يلتفت إليهم بغير الاحتقار والإهانة ، فلم يرسل الله عليهم من بعد قتلهم لصاجهم ملائكة من النساء لإزالة العذاب بهم ، والانتقام منهم ، وما كانوا يستحقون هذا الخفارة شائم وتصغير أمرهم ، وإنما جاءهم العذاب متمثلاً في صوت شديد صاح به جريل عليه السلام ، ما سمعه حتى منهم إلا هلك ، فصاروا هامدين كالثار التي كانت موقدة متوجهة ثم حدثت لهم بين أنفسها شيء .

وفي ذلك تبيه لأهل مكة ، وتحذير لهم من عاقبة تكذيبهم وعنادهم .

تذكير وبصيرة :

إن الحال التي يكون عليها المكذبون من يغلوthem عن الحق ، وانصرافهم عن يصلح شأنهم ، ويفقدون لهم سعادة الدنيا والآخرة .. ليُبيَّنُ في الغوص الأسى والألم .

من أجل ذلك لما رأت الملائكة نهاية هؤلاء المكذبين لرسولهم ، وحرمانهم من آثار الإيمان ، ومن حسن ثواب الطاعة ، وعدم اتعاظهم من أهلكوا من الأم السابقة من كذبوا رسليهم ، أبدوا أسفهم وتألمهم للنهاية التي انتهوا إليها ، وأعلموا استكارهم لعلمهم اللعم .

ثم ثانية الآيات بعد ذلك مستكورة اصراف أهل مكة عن الاعتبار عن سقوفهم من الأم السابقة الذين أصابهم الملائكة بسبب تكذيبهم وكفرهم وعصيائهم لرسليهم .. وأن هؤلاء الذين سقوفهم من الملائكة لا يرجعون إليهم .. ولن يرجعوا !!

ولو أن أهل مكة نعمُلوا واعتبروا بأحوال الماتين لم يفروا في مثل ما وقروا فيه
 حتى لا يشاركونهم سوء العاقبة .
 و يوم القيمة يجمعهم الله جمِيعاً فيحاسبهم على ما فعلوا ، ويجازيهم عليه .
 وكان ما يدعو إليه رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أهل مكة الإيمان
 بالبعث ، ولتهم كانوا ينكرون ذلك أشد الإنكار .
 فجاء القرآن الكريم يقيم الدلالَ على قيام الناس جمِيعاً بعد موتهم للحشر
 والحساب وتلقيني الجزاء .
 وكل هذه الدلالَ ما يقع تحت أبصارهم ، وما يشاهدونه في كل حين من
 ظواهر كونية متعددة .
دلائل البعث :

١ - إيجاد الأرض : من الأدلة التي أقامها القرآن الكريم لأهل مكة على إثبات
 البعث : الأرض التي يعيشون عليها ، وكيف تكون في بعض الأوقات جرداء
 فاحلة ، مُفقرة خامدة ، لا نبات فيها ولا حياة ، حتى إذا سفاحتها المطر ، أو رويت
 بملاء دُرْت فيها الحياة ، وأخرجت لهم بعد الفُرسان والزراعة أنواعاً شَتَّى من
 الحبوب ، كالقصص والشعير والأرز وغيرها ، مما يشكل جانباً أساساً من طعامهم ،
 يأكلونه فيديتهم ، ويفيتون عليه حياتهم ، إلى جانب الرزوع المتعددة ، والقوافك
 الكثيرة ، وأنواع التحليل التي تتربع ثمارها ، وأصناف الأعشاب التي تُثْبِر طَعْنَاهَا .
 وكذلك أخرج الله من جوف تلك الأرض عيونَ الماء التي تُغْزِي أنهاراً فستَّ
 للأحياء ، وتساعد على الإحياء والإثبات ، وذلك حين يقل المطر أو يendum .

كل هذه النعم التي يستعنون بها : من أكل النار ، أو ما تتصنم أيديهم من حلوي
 وأصناف الطعام ، كلها تدل على خالق واحد قادر ، يسترجب الشُّكُر والطاعة ،
 لا الجحود والمعصية ، ويدعو إلى الإيمان برسوله ، وبكل ما يهدى إليه من حق ورشد .

٢ - خلق الأزواج : لما كان شأن الناس - كما يبيت الآيات السابقة - أنهم
 يكذبون الرَّسُولَ إذا جاءتهم بالهدى والحق من عند الله ، جادلُين الإيمان به حيناً ،
 ومنكرين للإحياء بعد الموت أحياناً .. مع نعم الله التي تغزونهم وتحبسونهم ، مما
 يناسب الشُّكُر لا الجحود والإيمان لا الكفر .. كان المناسب أن يُبيَّن لهم عظمة الله

سبحانه وتعالى ، وأن يعلن عليهم تقديره وتربيته ، لأنه وحده خالق كل شيءٍ
وملِيكِه ، والمُتفرد في إبداع خلقه وصنعه ، وأنه منذ خلق الخلق جمِيعاً أودع في كل
نوع من أنواع الأحياء ما ينکار به على مر الأيام ، ويترايد على مدار العصور والأعوام .
ومن عظيم قدرته ، ودقيق صنعه ، أنه خلق الكائنات جميعاً أزواجاً لين عن
طريقها عمارَة الأرض ، واستمرار الحياة .

فما تبنت الأرض من بنيات ، وما يعيش على ظهرها من الناس والكائنات ، وما
خلق الله مما يقع عليه الضرر وما يقع عليه من خلقه سبحانه ، كلّ هذا جعله أزواجاً
يتم تلاقيها وتزواجهها بوسائل عديدة وأساليب شتى .

في عالم النبات - مثلاً - عن طريق التلقيح ، وفي حياة الإنسان عن طريق
الزواج والاقتران ، وفي عالم الحيوان وخصوصاً عن طريق التقاء الذكر بالأنثى . وفي غير
ذلك مما لم يكن معلوماً من قبل ثم ظهر بعضه بعد ذلك ، مما أظهره العلم الحديث
وبه ... وذلك كالزواج في الكهرباء بين سالب ووجب ، وفي المغاطيس بين قطب
شمالٍ وآخر جنوبٍ ... وما يجيء مسيراً حتى الآن . كلّ ذلك يدعوه إلى الإيمان بما يجيء
به الرسل . وإلى طاعتهم فيما يوحدهون إليه وتعظيم الله سبحانه ، وخشيه وإنسان عبادته .

٣ - الليل والنهار : من علامات قدرة الله سبحانه وتعالى الدالة على عظمته
ذلك الفصل الدقيق بين الليل والنهار . فلا يبقى من الظلمة مع صحو النهار شيءٌ كما
لا يبقى مع صحوه من ظلمة الليل شيءٌ ... حتى لا كأنها الميحة التي يُفصِّلُ عنها
جلدها فلا يبقى من اللحم في الجلد شيءٌ ، ولا من الجلد في اللحم شيءٌ . فالناس
حين ينكرون في صحو النهار ، ثم يُعد الله عزهم هذا القصو فلا يبقى منه شيءٌ ، يجعل
بهم الظلماً . ويستقررون في الليل ، ولا يقدرون على دفع الليل إذا جاء ، ولا إيقاف
النهار إذا ولى . وذلك صحيحة الله . ولحكمة عامة جعل الله الليل والنهار . ليكون في
النهار السُّنْنُ والمعاش . وفي الليل الراحة والسكنون .

٤ - الشمس والقمر : من نعم الله على الحياة والأحياء ، ومن دلائل عظمته
سبحانه وقدرته . خلق الشمس والقمر على نحو الشاهد الذي يجري في الشمس
بطام بذبح محكم لا يختل من خلقها الله ، وسيقى كذلك إلى قيام الساعة . ذلك
الجري على هذا التوجه هو تقدير الله العالِم بقدرته على كل خلائقه . العلم بأسرار
خلقه وما يصلح شأنهم .

وكذلك الأمر في القمر حيث فتّر الله أماكن نزوله في كل ليلة على مدار الشهر.. يبدأ هلالاً ، ثم يترايد شيئاً فشيئاً حتى يكمل بذراً ، ثم يبدأ في الناقص حتى يعود في نهاية الشهر مثل ذلك المود القديم المقوس الذي كان يعمل أحسانات البلح الريقة .

وكما كان لكل من الشمس والقمر مداره ومساره ، فإنه لا يسهل على الشمس أن تدرك القمر في سرعة سيره حيث يقطع دوره كل شهر مرة ، بينما تقطع الشمس دورتها في كل ستة مرات .

وكما أن الليل لا يحيط بهار بحيث يكون بينها فاصل .. بل يأتي بعده مباشرة ، هنا الإحكام الذي يجعل الشمس على التحول الذي مر في علاقتها بالقمر ، وكذلك الليل في علاقته بالنهار - يدل دلالة واضحة جلية على روعة هذا النظام ، وأن من وراءه مدبر حكيم ، أحسن خلقه ، ودبر أمره ، فلا ينبغي أن يحمد الناسُ فضله ، ولا أن يعبدوا سواه .

٥ - الفلك المشحون : ثالث الآيات مختلدة أهل مكة ، وهي تسوق الدلالات على عظمة الله سبحانه وتعالى وتغدوه ، وعظم قدره ، ووافر نعمه ، مذكرة لياهم بما كان يوم الطوفان ، حين غمرت المياه وجة الأرض ، فامر الله بيته توحاً عليه السلام يصعد السفينة ، وأن يصل فيها منْ آمن يآمنه ، وصدق بما جاء به نوح . فحملهم مع م-naعهم ، وما يتغدون به من الحيوانات والطيور ، حتى شافت بهم السفينة .. فأقيموا بذلك من هلاك محقق ..

هؤلاء الذين حيلوا في السفينة هم أجيادهم ، ولو لا إنقاذ الله لهم قد يعا لاقطمت حياتهم واتهت ، ولما كان لهم من بعد ذلك ذرية ولا نسل ، وتسنُّ الله على أهل مكة أنه حلّ لهم ما يحملهم ، وتحمل م-naعهم ، من مكان إلى مكان ، وعلّهم ما يماطل تلك السفينة التي يستخدمونها في أسفارهم في البحر ، ويُصرّهم بأنه لوشاء لأغريقهم إذا ركبوا البحر فهو الذي يُجاري الرياح ، ويسير السفينة ، وإذا غرقوا فلا مقدّر لهم ولا غير .

ورحمة الله وإيمانه لهم لا ينبغي أن يتصور منه أهل المقصبة أنه مستمر ، فالرحمة لأهل الإيمان ، ومن أصرّ على العصيان والتمرد ، فالتمنع بالحياة إلى وقت محدود ، وبأيٍّ يعده عذاب الله الذي لا يُبيّن ولا يذكر .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَقُولُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعْنَكُمْ
تُرْجَحُونَ ④٦٠ وَمَا تُأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ عَابِرٍ إِلَيْهِمْ إِلَّا
كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ④٦١ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنَا أَنْظِيمًا
مِنْ لَوْرِسَاهُ اللَّهُ أَطْعَمَهُمْ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ④٦٢
وَيَقُولُونَ مَنِّي هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ④٦٣
مَا يَنْظَرُونَ إِلَّا صَبَّحةٌ وَحِدَةٌ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْصُمُونَ ④٦٤
فَلَا يَسْتَطِعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِنْ أَهْلِهِمْ بِرِجُونَ ④٦٥
وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجَادِيرِ إِلَى رَبِّهِمْ
يَنْسُلُونَ ④٦٦ قَالُوا يَا شُوَيْلَنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا
مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ④٦٧ إِنْ كَانَتْ إِلَّا
صَبَّحةٌ وَحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدِينَ مَحْضُرُونَ ④٦٨
فَالْبَرِّمَ لَا نُظْلِمُ نَفْسَ شَبَّنَا وَلَا نُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ④٦٩

معاني الكلمات والجمل:

اتقوا ما بين أيديكم : خافوا واحذروا ما عوقبتم به الأئم السابقة .
وما حلقكم : ما ينتظر المكذبين من عذاب الآخرة .
لعلكم ترحمون : نأسفنا عذاب الله .
آية : الآية : الحجّة الدائمة على صدق الرسول ، أو هي آية القرآن .
مرضى : مكذبين .
إن ألمت إلا في ضلال مبين : ما ألمت إلا في كفر واضح .
الوعد : الموعود به وهو العبر وما فيه من العذاب .
ما يتظرون : ما يتظرون .
صيحة واحدة : نفخة الصعن التي يموت بها أهل الأرض .
يُخصّصون : يخاصمون ويتذمرون .
ونفع في الصور : نفع في البوح إلينا بالبعث .
الأجداد : القبور ، جمع جدث : وهو القبر .
بسلون : يخرجون مسرعين .
يا ولسا : هلاكنا .
بعنكا من مرقينا : نسبها من متامنا .
صيحة واحدة : نفخة العبر .

الشرح

إعراض واستكبار:

حين عرّفت الآيات السابقة دلائل قدرة الله وحكمه ، بما يؤكد قيام العبر ، والحياة الآخرة .. وظلّ الكفار على عنادهم وصلاتهم وجهودهم .. باشر الرسول - صلى الله عليه وسلم - دعوههم لهم ، وتنذيره ل Ibrahim ، بأحوال الساقين من الأئم ، وما حلّ بالمكذبين منهم من ألوان العذاب التي يعرفونها ، وتناقلون أخبارها ، ويررون آثارها .
وتحذّرهم العافية التي لا مفر منها ولا مهرب ، وذلك حين يقفون للحساب بين يدي الله في الآخرة ، ودعاهم إلى التوفيق والختام ، ليكونوا يمتّحّوا من عذاب الله ، وذلك لا يكون إلا بعدم الواقع فيها وقع فيه غيرهم ، والاعتبار بهائهم ،

ولكن المعاندين منهم والمستكرين أصرروا على الكفر ومحنة الرسول ، وما جاءتهم آية من القرآن الكريم فيها هداية وتور ، ولا آية من آيات الله الكوينة التي تشهد بقدرة الله ووحدانيه ، إلا قاتلوها بالاستهزاء والتکذيب والاستكبار والتبعاد عن الحق . فلا انفعوا بآيات الكون ، ولا استجابوا لدعوه الرسول وتحذيره .

مغالطة البخلاء :

مشتركون مكة وكفارها لم تكن معانديهم لدعوه الرسول - صل الله عليه وسلم - في جانب العقيدة فقط ، وإنما كانوا غرق ذلك بغير فهم عن غايتها الكريمة ، ودعوتها للتراصط والتآخي .. فكانوا إذا دُعوا إلى الإنفاق على الفقراء ، وسد حاجتهم ، تعللوا بأن الله سبحانه وتعالى أعطاهم وحدهم المال وحرم منه الفقراء ، فكيف يعطون من حرم الله؟

أيكونون أكثر رحمة بهم من ربهم !؟

ولكتيم لم يقولوا هذا القول مقتتبين بأنه حق ، وإنما كان ذلك بخلتهم الشديد بالمال ، وحرصهم على الحتف به وحذفهم ، وقصوة قلوبهم التي لم تلن أو ترقّ لحانع أو عريان ، أو ضعيف أو مريض يحتاج ، وأغفلوا أن الذي رزقهم وأعطاهم ما هم فيه من نعمة هو الذي يأمرهم بالاعطاء ، ويدعوهم إلى الإنفاق ، وأنه وهم المال وكان في مقدوره أن يعطيه سواهم ، فيصبحوا هم أهل الحاجة ، وما كانوا يومئما يتخلّون هذا المستطيل الذي يقولونه ، ولا هذه المغالطة التي يخوضون وراءها شحّهم ، وكرهيتهم للناس ، مما أوقفهم في هذا القلم الّيّن ، والبعد عن سبيل الرشاد .

استهزاء . . . ومغالطة :

لم يكن يُحدّي مع هؤلاء المكذبين من أهل مكة إنذار أو تحذير ، ولا ترعب ولا ترهب .. فإذا خوّفوا بعذاب الله وإهاته يوم القيمة للمكذبين ، أو رُغبوا في تواب الله ونبعنه الذي يشمل الطائعين يوم القيمة ..

إذا خوّفوا من العذاب أو رُغبوا في التواب سخروا واستهزأوا ، واستبعدوا وقع ذلك ، ولم يكن لهم من قول ، إلا إعلان الاستبعاد للبّت والحساب .. مُتحذّلين الرسول ليُحدّد لهم الوقت الذي يتم فيه ذلك .. أو الإثبات به إن كان صادقاً فيما يقول : على خوب ما فعل للرسول عليهم السلام من قوله :

فَإِنَّمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّدِيقِينَ ﴿٧﴾

وَمَا يَسْتَطِعُ هُؤُلَاءِ الْكَذَّابِينَ لِيُحَلِّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ إِلَى النَّصْخَةِ الْأُولَى الَّتِي يَنْجُونَهَا

إِسْرَافِيلُ فِي الْبَوْقِ فَنَفَخَ عَلَى كُلِّ حَيٍّ إِلَّا مِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ تَعَالَى :

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنِ فِي أَسْنَاتِهِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

مَنْ شَاءَ اللَّهُ . ^(١)

نَصْخَةُ ثَانِيَّتِهِمْ فَجَاهَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرْقُوُنَّهَا ، وَهُمْ يَتَازَّوْنَ فِي أُمُورِ مَعَاشِهِمْ
وَيَشْغَلُونَ بِأُمُورِ حَيَاتِهِمْ .

فَقَدْ جَاءَ فِي حِدِيثِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ... وَتَقْتُلُونَ السَّاعَةَ وَقَدْ

نَشَرَ الرِّجَالُ نُوَيْبِهَا بِئْرَهَا فَلَا يَتَابَعُهُ وَلَا يَتَوَبَّهُ ، وَتَقْتُلُونَ السَّاعَةَ وَقَدْ اتَّصَرَفَ

الرِّجَلُ بَيْنَ لَفْتَهُ ^(٢) فَلَا يَطْعَمُهُ ، وَتَقْتُلُونَ السَّاعَةَ وَهُوَ يَلْبِطُ ^(٣) حَوْضَهُ فَلَا يَسْتَقِي
فِيهِ ، وَتَقْتُلُونَ السَّاعَةَ وَقَدْ رَقَعَ أَكْثَرُهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا ^(٤) .

وَحْيَنْ يَحْقِقُ وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي جَدَّدُوهُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْمَفَاجِهَةَ لَا يَعْلَمُ لِلْإِنْسَانِ
أَنْ يُتَمَّ عَمَلاً بِهَا ، وَلَا كَلَامًا شَرَعَ فِيهِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يُوَسِّعَ لِأَوْلَادَهُ أَوْ
عِبْرَهُمْ بِعَالَى أَوْ نَعْوَهُ ، أَوْ يَأْمُرَ مِنَ الْأُمُورِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِعُ ذَلِكَ .

كَمَا لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَعُودَ إِلَى أَهْلِهِ وَبِهِ ، وَإِنَّمَا تَتَبَّعُ حَيَاتَهُ حِينَ يَكُونُ .

وَعْدُ الرَّحْمَنِ :

مَاتَ النَّاسُ جَيْبًا ، وَاتَّهَتِ الْحَيَاةُ ، بِنَصْخَةِ إِسْرَافِيلِ الْأُولَى ، وَعَثَلَ مَا مَاتَ بِهِ

النَّاسُ كَانَتْ قِيَامَتِهِمْ مِنْ مَوْتِهِمْ ، حِيتَنَتِ النَّصْخَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ إِسْرَافِيلِ أَيْضًا ،

فَأَنْبَثَتِ النَّاسَ مِنْ قُوْرَهُمْ ، وَخَرَجُوا مُسْرَعِينَ ، مُسْوَقُونَ لِلْوَقْفِ بَيْنَ يَدِيِّ رَبِّهِمْ ،

لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ ، وَهُمْ فِي هَلْعٍ وَفَرْعٍ يَسْأَلُونَ مِنْ هُنُولَ مَا رَأَوْا ... : مَنْ

(١) الْأَعْرَافُ ٦٠، ٦٧٠، ٦٩٥، ٣٦٥.

(٢) الْأَنْجَارُ ٦٥.

(٣) النَّاقَةُ الْمُلْوَبُ الْفَرِيزَةُ الْمُلْنَ .

(٤) مِنْ : الْأَطْبَاطُ ، إِذَا أَسْلَمَهُ وَمَطَّهُ .

(٥) رِوَايَةُ الْخَازِي .

الذى أبغضنا من مرقانا ، ثم يتبعون إلى أن ما هم فيه هو ما كانوا يبحثونه ، ويسخرون من وفuge .. ويستعدون مجده ، حيث يعلمون أن وعد الله الذي يتأهم به رسنه قد تحقق ، وأن ذلك نعم لهم بصيحة واحدة .. جعلتهم وهم يخرجون من قبورهم يظلون أنفسهم مالياً فيها غير لحظات قليلة .. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى :

وَيَوْمَ تَرْفَعُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُعْجَرِمُونَ مَا لَبِثُوا عَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُزْفَكُونَ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَتُوا الْعِلْمَ وَالآيَمَنَ لَقَدْ لَيْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَةِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثَةِ وَلَنْ يَكُنْ كُتُمٌ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

والآيات التي تتحدث عن الفحنة الأولى والفحنة الثانية تكشف عن جانب من العجب لم يحدث حتى وقت زوالها ، وحتى يومها هذا .. ولكنها تغير وكأن ذلك قد وقع بالفعل .. وتُفعّل في اللصور ، وذلك إشارة إلى أن ذلك أمرٌ محققٌ وفوجئ ، وليس تخيل أي نوع من الشك أو التكذيب .. لعل في ذلك تحذيراً وإنذاراً وتنبيه لأهل الفحنة ، قبل أن يجمعهم ربهم يوم القيمة ، ويخاسبهم على ما قدّمت أيديهم وفي ذلك اليوم ، وحين يُوقف الناس للحساب ، لا يخون منهم حافية ، وتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم وأرجلهم ، وبمحاجزي كلٍّ منهم على ما قدّمت يداه ، فلا تضيع لحسن حسنة ، ولا تغب عن مسيء سبعة .. وكل الأعمال حاضرة ، والحسناً يتضاعف ثوابها ، وكل سيئة مثليها ، ومن ترجح حسانه ففضل من أنه ورحمة ، ومن تعذب مسيئاته ، ولتحيط به خطبته ، فلا يمحازى إلا بما قدّمت يداه ، وبذلك يتحقق عدل الله في الناس «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» ^(١) .

(١) اليوم : ٥٦-٥٧
(٢) الكهف : ١٩

الآيات من ٥٥ - ٦٨ من سورة «يس» ٣

إِنَّ أَخْبَرَ الْجِنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُنُلٍ فَنِكِهُونَ ⑤٥ مُّمْ
وَأَزْوَجُهُمْ فِي ظَلَلٍ عَلَى الْأَرَأِيكَ مُتَكَبِّرُونَ ⑤٦ لَمْ فِيهَا
فَنِكِهَهُ وَهُمْ مَادِدُونَ ⑤٧ سَلَمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجْبٍ ⑤٨
وَأَمْتَزُوا الْيَوْمَ إِلَيْهَا الْمُجْرِمُونَ ⑤٩ * أَلَا أَعْهَدَ إِلَيْكُ
يَنْبَقِيَّ إِادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا أَشْيَاطِنَ إِنَّهُ لَكُرُّ دُعَوْمِينَ ⑥٠
وَإِنْ أَعْدُونِي هَذَا صَرْطٌ مُسْتَقِيمٌ ⑥١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُ
جِلَّا كَثِيرًا أَفَلَمْ نَكُونُوا تَعْقِلُونَ ⑥٢ هَذِهِ جَهَنَّمُ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ⑥٣ أَصْلُوهَا الْيَوْمَ إِمَّا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ⑥٤ الْيَوْمَ لَخَنْمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُ
أَيْدِيهِمْ وَنَسْهَدُ أَرْجُلَهُمْ إِمَّا كَانُوا يَنْكِبُونَ ⑥٥ وَلَوْ
نَّكَّا لَطَمَّنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَانْتَبَقُوا أَصِرْطَ فَأَنِّي
يُبَصِّرُونَ ⑥٦ وَلَوْنَاءَ لَمَسَحَنَّهُمْ عَلَى مَكَانِتِهِمْ فَإِنَّ
أَسْطَلُنَّهُمْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ⑥٧ وَمَنْ نُعَمِّرْ نُنْكِهُ
فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ⑥٨

معان الكلمات والجمل :

مشغولون عن غيرهم باسم واللذة .	في سُلُرٍ عاكِبُهُنَّ
الأُسْرَةُ الْأَرْبَعَةُ الْفَاجِرَةُ . وَاجْدُهَا أَرْبَكَةً .	الْأَرْبَكَاتُ
وَهُمْ مَا يَصْنَعُونَ وَيَطْلُبُونَ .	وَهُمْ مَا يَدْعُونَ
أَفْرَدُوا وَابْتَدَعُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ .	وَامْسَارُوا
أَكْفَكُكُمْ وَأَوْصِيكُمْ .	أَهْدَى إِلَيْكُمْ
إِلَّا طَبَحُوهُ .	أَلْتَهِبُوا النَّسْطَانَ
خَلَقُوا أَوْ جَمَاعَةً أَوْ الْأَمْمَةَ الْعَظِيمَةَ .	جَمَاعَةً
أَدْخِلُوهُنَّا وَذُورُوهُنَّا عَذَابًا .	أَسْلَنُوهُنَّا
عَنْهُمْ مِنَ الْكَلَامِ .	لَحْمٌ عَلَى أَعْوَاهِهِمْ
يَعْمَلُونَ مِنْ سَيِّئَاتِهِنَّ .	يَكْبُونَ
خَوَانِهِنَّا وَأَذْهَانِهِنَّا نُورَهَا .	أَطْسَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ
تَسْأَلُوهُنَّا إِلَى طَرِيقِهِنَّ الْمَعَادَ لِأَجْيَارِهِ .	اسْفَأُوا الصَّرَاطَ
فَكَيْفَ يَصْرُونَ .	فَلَيَّ بَصِرُونَ
حَوْلَهُنَّا هَبِّتِهِنَّ فِي أَمَانِكِنْ مَعَاصِيهِنَّ إِلَى صُورِ قِبَّةِهِنَّ .	سَخَانَمَ عَلَى مَكَاتِبِهِنَّ
ذَهَابٌ .	ذَهَابٌ
زُرْدٌ عَمَرَهُ ، وَعَنْدَهُ .	نَعْزَمَهُ
بَرَدَهُ بَعْدَ الْقَوْةِ إِلَى الشَّفَقِ وَالنَّشَرِ .	نُكَبَّهُ فِي الْخَنْبَرِ

الشرح

فِيْيَةِ الْحَنَّةِ وَفِيْيَةِ السُّعْدِ:

بعد أن ينتهي الحساب يوم القيمة ، وتحقيق عدل الله في الخلق ، ويعرف كل إنسان مصبه .. فأهل الحق إلى الحق .. وأهل النار إلى النار :

فَرِيقٌ فِي أَجْنَاهُ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝

النحو : ملخص (١)

فَلَمَّا أَهْلَ الْجَنَّةَ فَيَسْعُونَ فِيهَا هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُتَمَنَّاتِ
الصَّالِحَاتِ بِمَا أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ الْمُتِيمِ ...

فَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْزًا وَلَا تَأْيِسًا ، وَلَا يَمْدُونَ حَرًّا وَلَا زَنْهَرَيْرًا ، وَإِنَّهُمْ فِي
ظُلُلٍ دَامِ ، يُظْلَلُهُمْ عَلَى أَبْرُؤُهُمُ الْفَاقِعَةِ الْمُزَيْنَةِ ، وَأَشْجَارُ الْجَنَّةِ مِنْ حَوْضِهِمْ تَسْدَلُ
مِنْهَا الْفَاكِهَةُ وَالثَّارُ ، وَالْأَسَامُ الْعَاطِرَةُ تَمَلُّأُ الْأَرْجَاءَ ، فَتَشْرُحُ صَدَورُهُمْ ،
وَتَسْعَدُ نُفُوسُهُمْ .

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فِي هَذَا النِّعَمِ ، لَا يَشْعُلُهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ شَاغِلُ ، وَلَا يَلْهِيُهُمْ عَنْهُ
لَا هُمْ يَتَمَتَّعُونَ بِمَا حِيَاهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى عَقْلِ أَوْ قَلْبِهِ ، مِنْ يَنْهَى
عَرْفُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَوْ لَمْ يَعْرِفُوهُمْ ... فَلَا يَشْتَهُونَ فَاكِهَةًا أَوْ طَعَامًا ، أَوْ شَيْئًا مَا يُنْسَحِجُ
النُّفُوسُ ، وَيُسْنَدُ الْقُلُوبُ ، وَيُسْرُ الْحَاطِرُ ، إِلَّا وَيَعْمَلُونَ حَاضِرًا لِدِينِهِمْ ، قَرِيبًا
مِنْهُمْ ، دَانِيَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ... وَحَوْلِهِمُ الْأَهْيَاءُ بِعُضُّهَا يَجْرِي بِالْمَاءِ ، وَبِعُضُّهَا يَجْرِي مِنْ
اللَّبَنِ وَبِعُضُّهَا مِنَ الْمَلِلِ الْمُصْنَعِيِّ .

يَطْوُفُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ ... الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ... يُغْفِرُهُمْ سَلَاتُهُ ، وَيَرْدَدُونَ
عَلَيْهِمْ تَحِيَّتَهُ ... جَزَاءً وَفَاقًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ :

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ إِنَّمَا صَرَبُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً

وَسَلَّمًا ⑯ خَلِدِينَ فِيهَا حَسْنَتٍ مُّتَّسِرَّةً وَمُقَاماً ⑰

وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ ... فَقُبُّصُرُونَ بِالْأَبْعَادِ عَنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ، وَيَتَهَوَّنُونَ عَنِ
الْاقْرَابِ مِنْهُمْ ... إِذْلَالًا لَهُمْ ، وَاسْتِهْزَاءُهُمْ ، وَجَزَاءُ عَدْلًا عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ .
نَصِيحَةٌ ... وَمُخَالَفَةٌ :

بَعْدَ أَنْ يُفْعَلَ أَهْلُ الْمُعْصِيَةِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُدْفَعُوا إِلَى الْأَبْعَادِ عَنِ النِّعَمِ
وَالسَّعَادَةِ الْأَبْدِيَّةِ الَّتِي لَيْسُوا أَهْلًا لَهَا .. يَقَالُ لَهُمْ .. تَبَكِّنَا وَتَأْيِسَا .. وَسُخْرَةٌ
وَاسْتِهْزَاءٌ: أَلَمْ يَأْتُكُمْ رَسُولُ اللَّهِ يُبَيِّنُ لَكُمُ الْهُدَى، وَيُذَلِّلُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْيَقِينِ

(١) القرآن : ٧٦ - ٧٥

توصلكم إلى محبة الله ورضاه ، وجهه ونعيه ، ويعذرونكم طاعة الشيطان
وابياعه ، حتى لا تخروا بذلك إلى عبادة غير الله أو الواقع في أعمال تغضبه ؟
ويوصون لكم كذلك أن الشيطان عدو لكم يُضيّر لكم البعض والكراهة ،
وحاول أن يفسد عليكم حياتكم وأخربكم ، كما حاول أن يفعل ذلك مع آبائكم
آدم ، حين وَسْوَسَ له وهو في الجنة ، فكان سبباً في خروجه منها ، وحرمانه من
نعمتها ؟

ولقد هدتكم الرسل إلى عبادة الله الواحد الحالى الذي يملك كل شيء ، وليس
بيد غيره شيء ، وإلى اتباع ما شرع لكم ما فيه صلاحكم في الدنيا ، وفلاحكم في
الآخرة . ولكنكم - أيها الكاذبون الصالون - لم تستجيبوا لرسلكم ، واتبعتم
الشيطان ، وسرتم وراءه ، واستجعتم إلى ما يدعوكم إليه ، فلم تُعملوا عقولكم ،
وتحاولتم ما يحيط بكم من آثار إفساده ، مما يدل على إخلاصكم لكتير من المخلقين فلما
من حلّ بهم سخط الله ، ووقع عليهم عقابه .
وكان يحدركم - لو أعلمتم عقولكم - أن تعظوا وتعذروا .

عاقبة أولياء الشيطان :

بعد تأييب العصاة الذين اتبعوا أهواهم وشياطينهم ، ولم يتعبروا بما حلّ
بأنفسهم من المحن والمصائب .. بعد أن حدث ذلك .. يقال لهم يوم الموقف
العظيم : لقد كذبتم رسلكم حين حذروكم من الواقع في العذاب ، ومتجرئون
م منهم .. فهذه جهنم التي كتم تكذبون بها ، تزورها حاضرة أيامكم ، وقد حن عليكم
أن تدخلوها ، وتنزقونا عن عذابها .

ويبلغ بهم الأمر أنهم حين يسألون عن أعمالهم في الدنيا تخرس ألسنتهم ، فلا تقدر
أن تناور أو تدارو ، أو تكلب أو تعتذر ، فقد أغفلتها الله ، وحسن فيها الكلام ..
والذي يتحقق في هذا الموقف إنما هي أيديهم وأرجلهم .. تُغلى عن كل ذنب
اقترفه ، أو خطيبة ارتكبها ..

ثم بين الله سجانه وتعلل شمول قدرته ، وأنهم كانوا يستحقون عذابه في
الدنيا ، فلو شئنا غير أصارفهم لفعلنا وأعفيناهم ، فإذا تسابقاً إلى الطريق كعادتهم

فلا يمكن أن يصرون ، وإذا تداعوا إلى المثل ضلوا الطريق ، ولم يبيتوا خاتمهم ،
ولو شاء أن عسخهم في مازفهم لمسخاهم حجارة ، وغيرنا صورهم إلى صور
قيحة فلا يستطيعون حرفة .

ولو فعل الله بهم ذلك في الدنيا فما كان بقدرتهم ولا في استطاعتهم أن يتصرفا ،
ولا أن يحرکوا إلى الأمام ولا إلى الخلف ..
ولكنه سبحانه لم يفعل بهم ذلك لأنه أمهلهم لعلمهم بيوبون ويرجعون عن طريق
الشر والغي .

ثم أراد سبحانه وتعالى أن ينبههم إلى قدرته على البعث بعد الموت ، وذلك بحالة
يشاهدونها في أنفسهم ، وتفع علينا أعيانهم .. فقال ، ومن نعمته نُنكِّنه في
الخلق ..

أفالا يرى هؤلاء المكذبون ^٤ كيف ينشأ بينهم الناشئ صغيرا .. لا يعرف ولا يعقل ما
حوله شيئا .. ثم ينمو وينمو معه عقله ومحارفه .. حتى إذا بلغ أشدده ، وقارب
الاكتمال جسما وعقلا .. ثم امتد به العمر أكثر وأكثر فإن حاله يتقلب من قوة في
جسمه وعقله إلى ضعف فيها ؟

هل غفلوا عن هذا ، فأصبحوا لا يعقلون أن من قدر على أن ينقولهم من الشباب إلى
الخرم ، ومن القوة إلى الضعف ، يقدر على أن يطمس على أعيانهم ويسخنهم ويعلّمهم
بعد الموت ^{٤٤} .

وفي كل ما سبق تبيه لأهل مكانة ، وحتى لهم على أن يستجيبوا الدعوة الرسول -
عليه الصلاة والسلام - حتى يأسوا عذاب الله يوم القيمة .

* * *

وَمَا عَلِمْنَا الشِّعْرَ وَمَا يُبَيِّنُ لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ⑤ لَيُبَدِّلَ مَنْ كَانَ حَبَّاً وَيَحْقِّ
الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ⑥

معاني الكلمات والجمل:

ما يبَيِّنُ لَهُ	لا يَبْيَنُ لَهُ ، ولا يَصْلُحُ لَهُ
ذِكْرٌ	ذكر ومواعظه
مُبِينٌ	مُظَهَّرٌ لأحكام الله
حَبَّاً	عاقلاً مهتدياً
يَحْقِّقُ الْقَوْلُ	يَحْبِبُ الْمُلَابَ

الشرح

القرآن ليس شعرًا:

كان أهل مكة من العرب الخمس الفضحة، وكانت قوم ينتقمون أسوأ بشارى فيها الشعراً والخطباء، وكانتوا من أكثر الناس معرفة بالشعر وقوته.

وحينما بعث فيهم رسول الله - صل الله عليه وسلم - .. وتلا عليهم القرآن الذي نزل عليه من ربِّه كذبوا .. وحاولوا أن يشككوا في هذا القرآن ، وأن يجدوا تبريراً لعدم إيمانهم فرقوا رسول الله - صل الله عليه وسلم - بالجنون نارة ، وبالكمامة نارة ، وقالوا عن القرآن مرة : إنه سحر ، ومرة : إنه شعر .

ويفسدون بالشعر أن القرآن كلام فيه خيال كبير ، وأوهام باطلة لا حقيقة لها.

ولقدرة القرآن الكريم عليهم في كل ما قالوه عن الرسول - صل الله عليه وسلم

- وعن القرآن في أكثر من موضع ، وهو هنا يرد عليهم باطلهم ، وَبَيْنَلِيْلٍ مُرَايِعِهِم
ودعاهم ، في أن القرآن شعر ، وأن الرسول شاعر ، فيقول : إن الله ما علمه
الشعر ، وما كان يلقي بين يديه رسالة إلى الخلق أن يكون شاعرا ، فالشعر خواطر
إنسان ، وانفعالات بشر ، مختلف من وقت لوقت ، وتتغير من حال إلى حال .. أما
ما ينزل من الله فتوحي ثابت ، وهذى غير مُثُقل ، وهو في كل وقت عامر
بالحكمة ، وعا يصلح الناس .

ولقد وصف القرآن الكريم أكثر الشعراء بقوله :

وَالشَّرَّاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ⑯ إِنَّ رَبَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِمُونَ ⑰ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ⑱ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَدَعَوْا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ ⑲

وأهل مكانة يعلمون أن ما يستمعون إليه ليس شعرا ، فالشعر أوزانه وقوافيه ،
وهي غير موجودة فيها يتلوه عليهم مما نزل عليه .

وإذا لم يكن ذلك شعرا ، فقاتلته ليس بشاعر ، وإنما الحقيقة أنه هذى من الله
يتزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وقرآن ظاهر الصدق ، ليخرجهم من
ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان ، ويهديهم إلى طريق الفلاح ويصرّ أهل العقل
والقطنة ، أنهم محسوبون على أعمىهم ، ويعززون عليها يوم القيمة .

فمن اعتبر وتنبه واستجاب فقد أنقذ نفسه من النار والعقاب الشديد الذي يتضرر
الكافر في الآخرة .

(١) الشراء : الآيات ٢٢٧-٢٤

أَوْ لَمْ يَرُوا أَنَا خَلَقْتَهُمْ مِّمَّا عَمِلْتُ أَيْدِيهِنَا أَنْعَنَّاهُمْ
 هَمَّا مِثْلِكُونَ ① وَذَلِكُنَّهُمْ قِنْهَارُكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
 يَأْكُلُونَ ② وَلَمْ فِيهَا مَنْفَعٌ وَمَشَاربٌ أَفَلَا
 يَشْكُرُونَ ③ وَأَنْحَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَهْمَةً لَعْلَهُمْ
 يُنْصَرُونَ ④ لَا يَسْتَطِعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَمُّنْ جُنْدٌ
 شُخْضُرُونَ ⑤ فَلَا يَعْزِزُنَّكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَرُّونَ
 وَمَا يُعْلِمُونَ ⑥

معاني الكلمات والجمل :

- ما عملت أيدينا : ما خلقناه بقوتنا من غير شريك أو وساطة .
- أهاما : الإبل والبغال والغنم .
- مالكون : مسيطرودن علينا ، ظاهرون لما يتصرون فيها كما يشاءون .
- وذلناعها : جعلناها سخرة لخدمتهم .
- ركوبهم : أي ما يركبونه من دواب ونحوها .
- مشارب : ما يشربون من ألبان .
- آهمة : أنسانا يدعونها .
- شخضرون : حاضرون متصرعون لخدمتهم .
- لا يعززك : لا يغضبك ولا يضايقك .

الشرح

الأنعام .. نعمة :

بعد أن بُينَ أَنَّ اللَّهَ مُسْبَحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَهْلِ مَكَّةَ أَنَّ مَا جَاءَ بهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ رَبِّهِ، إِنَّمَا هُوَ تَذْكِيرٌ بِغَفْلَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَةٌ لَهُمْ.

يَتَابُعُ هَذَا بَيَانُ نَعْمَةِ مِنْ نَعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَيَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ دُمُّ الاتِّصَالِ إِلَيْهَا، وَالْاعْتِيَارُ بِهَا ..

وَتَلْكَ هِيَ نَعْمَةُ الْأَنْعَامِ مِنْ لَيْلٍ وَنَهَارٍ وَغَمْ .. الَّتِي يَعْلَمُونَ تَعَالَمُ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ مَا صَنَعُوهَا، وَلَا أَبْدِعُوهَا، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ صَنْعِهِ، سَخْرَهَا لَهُمْ، وَسُرُّهُمْ أَنْقِادُهَا، فَلَكُوكُهَا، وَتَصْرُفُوهَا، وَسَيِطِرُوهَا عَلَيْهَا، وَأَنْخَنُوهَا مِنْهَا مَا يَرْكِبُونَهُ فِي تَرْجُلِهِمْ وَسَفَرِهِمْ وَحَمَلُوا عَلَيْهَا أَثْقَالَهُمْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَاسْتَخْدَمُوهَا فِي حُرُثِ الْأَرْضِ وَسُقُّرِ الرُّزْعِ وَخُوبِهِ ..

وَكَذَلِكَ أَكَلُوا مِنْ لَحُومِهَا، وَفَلَمُّوا مِنْهَا لِلْفَسِيفِ وَالْفَقَراءِ، فَاكْسَبُوا مِنْ وَرَاهِهِ ذَلِكَ حُمَيْةُ النَّاسِ وَأَمْيَادُهُمْ ..

وَشَرَبُوا مِنْ آبَانِهَا، وَسَقَوُا غَيْرَهُمْ، وَصَنَعُوا مِنَ الْآبَانِ آنْوَاعًا عَدِيدَةً مِنَ الطَّعَامِ كَالْجِبَنِ وَالزَّبَدِ وَغَيْرِهَا ..

وَكَذَلِكَ اتَّفَعُوا بِجَلُودِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَصْوَافِهَا، فَأَنْخَنُوهَا مِنْهَا الْتَّيَابَ وَالْخَيَامَ وَالْفَرَاشَ وَالْغَطَاءَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا يَتَّفَعُونَ بِهِ فِي شَوَّافِ حَيَاتِهِمُ التَّرْوِعَةِ .. وَهَذِهِ الْأَنْعَامُ الَّتِي مَذَكُورَهَا، وَتَكَاثَرَتْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، فَاتَّفَعُوا بِهَا، وَنَفَعُوا غَيْرَهُمْ شُكْلَ نَرْوَةَ كَبِيرَةَ، امْتَازُوا بِهَا عَلَى غَيْرِهِمْ، فَأَصْحَوُهَا بِمَا يَعْلَمُونَ مِنْهَا سَادَةً وَكِبَراءً فِي قَوْمِهِمْ ..

وَمَعَ ذَلِكَ .. لَمْ يُؤْدُوا وَاجِبَيْهِمْ فِيهَا، وَلَمْ يَعْرُفُوا حَقَّهُ عَلَيْهِمْ، فَاقْشَكُرُوا بِنَعْمَهُ، وَلَا اعْتَرَفُوا بِهَا .. وَإِنَّمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْجَحْدُ وَالْأَعْرَاضِ وَالْغَرْرُورِ مَا دَعَا إِلَيْهِ تَذْكِيرَهُمْ وَتَصْرِيفَهُمْ وَاسْتَكَارَهُمْ هَذَا مِنْهُمْ ..

جحود . . . وعجز:

لَمْ يَقْنُ أَهْلَ مَكَةَ عِنْ جُحْدِنِمِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا تَجاوزُوا ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ
بِصَاحِبِ النَّعْمَةِ ، فَجَحَّلُوْا مَعَ اللَّهِ أَلْهَمَةَ ، صَنَعُوهَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَقَرَبُوا إِلَيْهَا الْقَرَائِبِ ، وَلَمْ
يَعْلَمُوْا أَوْ يَدْبِرُوْا أَوْ يَتَظَرُّرُوْا بِتَعْقِلٍ ، فَيَدْرِكُوْا أَنَّ هَذِهِ الْأَسْنَامَ الَّتِي مِنْ عَمَلِ أَيْدِيهِمْ
لَا تَنْفَرُوْلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تَسْطِعُ أَنْ تَرْدَعْ عَنْ نَفْسِهَا ، وَلَا أَنْ تَنْفَعَهَا إِسَادَةً أَسْرَارِ
طَفْلِ الْأَطْفَالِ ، فَكَيْفَ وَهِيَ لَا تَمْلِكُ هَذَا أَنْ يَخْلُوْهَا مِنْهَا أَلْهَمَتْهُمْ^٤ .
وَنَصْرُورُونَ لِدِيْهَا الْحَيَاةَ وَالنَّصْرَةَ؟

أَتَهُمْ يَصْنَعُونَ تَلْكَ الْأَلْهَمَةَ وَيَدْبِرُوْنَهَا وَيَصْنَعُونَهَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَصْنَعُونَهَا فِي نَارِ
جَهَنَّمَ تَحْرِقُ فِيهَا ، وَيُحَرِّقُونَهَا .. لَا يَسْتَطِعُونَ نَصْرَهَا ، وَلَا تَمْلِكُ هِيَ أَنْ تَنْفَعَ
عَنْهُمُ الْعَذَابَ .

وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ مَصْبِرُ أَهْلِ الشَّرِكِ وَالْكُفْرِ الَّذِي يُعْلِمُ اللَّهُ بِهِ رَسُولُهُ - ﷺ -
فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مَا يُسْرِيُّ عَنِهِ ، وَيَنْقُضُ عَلَيْهِ مَا يَتَهَمُونَ بِهِ ، وَيَنْسِبُونَ إِلَيْهِ
وَعَطَّلَتْهُ - سِبْحَانَهُ - أَنْ سَرَّهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، وَكَلَّ شَيْءٍ يَفْطُلُونَ لَا يَغْبُبُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ ،
وَأَنَّهُمْ مَجْزِيُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَسْتَحْفُونَ مِنْ سَرِّهِ الْعَذَابَ .

٦

الآيات من ٧٧ - إلى آخر سورة «يس»

أَوْلَرِ الْإِنْسَنُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَهَذَا هُوَ
خَيِّبِي مِينْ ⑥ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَبَيَّنَ خَلْقُهُ
قَالَ مَنْ يُحْكِي النِّعْمَةَ وَهِيَ رَبِّيْسَةُ ⑦ فَلَزِّمْتُهُ
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً وَهُوَ يَكُلُّ خَلْقَ عَلِيمٍ ⑧
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَهَذَا أَنْتُ مِنْهُ
تُوقَدُونَ ⑨ أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
يُقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ بَلَى وَهُوَ أَنْتَلَذُ الْعَلِيمُ ⑩
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ⑪
فَسَخَنَ الَّذِي يُسَدِّهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَمُونَ ⑫

معاني الكلمات والجمل :

نُطْفَة : النُطْفَة هي الماء الصافي .. والمقصود بها هنا : ماء
الرجل (الثَّيْبِي).

حريم بين	: شديد الجدل بالباطل ظاهر الخد .
رمم	: بالية أشدُ البَلِّ .
أشها	: خلقها من عدم .
خنق	: مخلوق .
توقفون	: تشغulen النَّارَ .
إما أمره إذا أراد شيئاً	: إما شأنه في الإرادة إذا أراد خلق شيء .
سبحانه	: نتهي ووجب له الكمال .
ملكت	: الملك السَّامِ .
وابيه ترجمون	: وإليه وحده يعاد الناس جميعاً للحساب .

الشرح

ضرور الإنسان:

جبن خلق الله الخلق ، وغمزهم بعنه ، كان الواجب عليهم ، أن يخلصوا له الطاعة ويزمُّوا العبادة ويطبلوا الشكر .

ولكن كثيراً منهم جحد وكفر ، وتخلَّك الغور ، والخذل من دون الله آله عبدها واستنصر بها ، وأنكر أن يكون هناك بعث وإحياء بعد الموت .

ومن هؤلاء من جحد خلق الله له ، وجادل بالباطل في أمر البعث ، ووقف يخاصم ربِّه ويعين كفراً ، ونأى به عن قبول الحق ، وما يتبرَّع العجب أن جموع كفار مكة فيما ينتهيُّم ليناقشوا ما جاءهم به الرسول - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في شأن البعث ، ثم ينتهيُّ إلى جحوده ، والكفر به ، ويفهم أحدهم وهو ابنُ خلف ، فيأخذ عظاماً باليه ، ويدفعُ إلى رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بحادلاً بالباطل ، متصرِّفاً أنه قويٌّ الحجة ، غالب الرأي ..

فيقول : يا محمد .. أترى ربُّك يبعث هذا بعد ما زُرْمَ وظَنَّ ؟ ونَقَّتْ في بيته ما حمل من عظام ، ويلقيه على الأرض .. وهو هنا .. ينسى كيف بدأ !! وكيف كان قبل أن يقوى على الحركة والتراكب والكلام !!؟

هذا الإنسان ، وأمثاله من الكفار ، عندما يعانون وبخاصمون ، ويكتفون بما
تهدىهم إليه رسلهم ، لا يذكرون كيف بدأ خلقهم من ماء مهين ، ونقطة ضعيفة ؟
ثم يخرجون بعد ذلك على معاندة الرسل ، وعلى الكفر بالله ، وجوده تعمه ،
وقدمو من الحجج الواهية ، والدلائل الباطلة ، ما يعتقدون أنه يزيد كفرهم ، أو
يساند باطلهم ... كما فعل «أبي بن خلف» ... عندما قدم ما قدم ، وقال ما قال ،
وتساءل في سخرية واستخفاف : أترى ربكم يعي هذا .. ! !

يُحييها الذي أنشأها :

سأل «أبي» سؤالاً طاناً أنه قد أفحى الرسول - صل الله عليه وسلم - وأبطل
شأن العث ..

ولكن ما أسرع ما نطق الجواب حامياً من رسول الله - صل الله عليه وسلم - ..
حيث قال له : .. تم ! وَيَعْلَمُكُمْ وَيُنَذِّلُكُمْ النَّارَ ..
كان يتساءل : هل يُحيى هذا العظم ؟ ومن يحييه بعد أن أكله العيل ؟

والجواب سهلٌ يسير عند أصحاب العقول الوعية ، والأفهام المستبررة .. إن
الذي يحييها ، ويعُيّ الأموات جميعاً أحياء ... هو الذي خلقهم قبل ذلك من
عدم ، وأنشأهم عند البدء إنشاء ..

وهو سبحانه وتعالى : عالم بعلقه ، لا يُجهب عنه شيء ، من شرورهم ، ولا يحيى عليهم
أدنى أمر ، فكل ما يتأثر من الخلق بعد الموت والليل يعلمه الله ، وعلم أماركه ،
وكل ما تأثر من هذه الأجزاء ، دق أو غطّ ، صرّ أو كبر يضم بعضه إلى بعض ،
ويمضي في العث ، ولا تخفي عليه خافية .

والإنشاء الأول ، والخلق من العدم ، ليس في يسر التجمّع ، ولا في سهولة
الإرجاع .

ولا يستكثّر العث والإحياء بعد الموت ، منْ يرى حواره آثار قدرة الله بارزة
واضحة ، ممتلأة في هذا الشجر الأخضر الذي يشاهدونه ويرونه مع ما فيه من الماء

المضاد للنار يتحول إلى وقود جاف ، يتخالونه للتدفئة وغيرها ، بل إن فيه أنواعاً يمكن إيقاد النار منها وهي على خصيتها ، وذلك كشجرة المرتفع والعقار ، إذا أخذ من كل واحد منها غصن ، ثم حُكَّ أحدُها بالآخر عرجت منها النار .

إن الذي خلق السموات على سُبُّتها ، وعظمتها وارتفاعها ، بغير أعدةٍ ئى ،
ويحيط الأرض على سُبُّتها ، ورُتِّب فيها الجبال والبحار والأنهار وخلق فيها ما خلق من الكائنات ، وأودع فيها ما أودع من أرزاق العباد .. وكل ذلك لم يكن موجوداً من قِبْلِه ، وإنما أنشئ من عدم ..

ألا يقدر هذا الخلاق العظيم ، أن يعبد إلى الحياة أمثالهم ، وأن يحيي هؤلاء الكفار وقطارهم بعد موتهم ؟

إن ذلك مبينٌ عليه ويسير .. فقدرة الله سبحانه لا تُحَدُّها حدود .
وأله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، فشأنه في الإيجاد والخلق والتكون لا يحتاج إلى وقت أو إعداد .. بل إذا تعلقت إرادته بخلق شيء ، أو إيجاده فإنه يوجد بلا إعطاء .. فيقول للشيء «كن .. فيكون» ..

وأله سبحانه وتعالى قدير وعظيم ، لا شريك له ولا منازع ، يملك الإحياء والإعدام ، والمُنْجَع والإعطاء .. منصف بكل كمال ، متراه عن كل ما لا يليق به ، لا يُنْسَدُ في ملكه إلا ما يشاء ، وله ملك كل شيء ..

علم بدقائق خلقه ، مُهَبِّينَ بسلطاته ..
بدأ الخلق ، وإليه - وحده - يرجع الخلق : مؤمنون وكفار .. فنجاري كل ما هو أهله ..

فأهل الشرك والكفار إلى جهنم ..
وأهل الإيمان إلى الجنة وحسن الجزاء .

* * *

سُورَةُ الصَّافَاتِ مَكْيَةٌ
وَأَبْيَاهَا ثَتَانٌ وَثَيَانُونَ وَمَائَةٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْعَامِ

سورة: «الصافات»

التمهيد:

كيفية السور المكية تحدثت السورة المباركة عما يُثْبِت عبادة الوحدانية ويزكيدها ، وما يُرَكِّد فنرة الله سبحانه وتعالى وسلطانه الذي لا يشاركه فيه أحد ، كما تربط السورة أحوال الآخرة وما يكون فيها من نعيم مقيم لأهل الطاعة والإيمان ، وعذاب مقيم لأهل المعصية والكفر ، وما يكون من تخاصم بين أهل النار وصراع ، وإلقاء كل فلان ومقتولن اللوم على من فله أو استحباب له .

وعرضت السورة أحوالاً بعض الأنبياء واستجابتهم لأوامر الله وتواههم ، وإنخلاص عبوديّهم لله سبحانه وتعالى ، وما كان من شأنهم مع أنفوسهم وما لا يقوى في سبيل أداء الرسالة من عَسْرٍ وأذى ، تعليماً لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وتبنياً له وتسريحة عنه ، وتشبيهاً لقومه ومخذلتها ، حتى لا تكون عاقبتهم كعاقبة من كثبروا أنبياءهم من قبيل .

ولقد عرضت السورة مواقف عديدة لرسل الله وأنبئيه ، وامتدحهم لصدق إخلاصهم ومبادرةهم بالعودة إلى الله والاحسان به وما أعده الله لهم من درجات عالية يوم القيمة .

وذكرت الآية شُبُّهَا للمرتكبين ثم زُدْتُ عليها ، وبينت وجه الخطأ والفال فيهما ، وأكملت أن الغلبة في كل معركة لا تكون إلا لأهل الطاعة والإيمان ، وأن نصر الله لا يكون إلا بذند الله من أهل التقوى واليقين . وبدأت السورة بتأكيد الوحدانية وختمت بحمد الله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالصَّفَّاتُ صَفَا ① فَازْرَبَتْ زَبْرَا ② فَانْتَلَبَتْ
 ذَرْبَا ③ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ④ رَبُّ الْمَرْءَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ⑤ إِنَّا زَيَّنَاهَا
 الَّذِي زَيَّنَهُ الْكَوَافِرُ ⑥ وَحَفَظَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْطَنٍ
 مَارِدٍ ⑦ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى وَيُقْدَمُونَ مِنْ
 كُلِّ جَاهِنْ ⑧ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑨ إِلَّا مَنْ
 خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَنْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ⑩ فَامْتَقَنَهُمْ
 أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقَاهُمْ مِنْ خَلَقَنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ
 لَأَرِبٍ ⑪ بَلْ عَجَبَتْ وَتَسْخَرُونَ ⑫ وَإِذَا ذَرْبُوا
 لَا يَدْرُكُونَ ⑬ وَإِذَا رَأُوا هَمْبَةً يَسْتَخِرُونَ ⑭ وَقَالُوا
 إِنَّ هَذَا إِلَّا حُمْرَ مِبْنٌ ⑮ أَوْ دَامِنَا وَكَانُوا تُرَابًا وَعَظَنَمَا

أَوْنَا لِمَسْعُوتُونَ ⑬ أَوْهَايَأْنَا الْأَوْلُونَ ⑭ فُلْ نَعَمْ
 وَأَنْتُمْ دَنِيرُونَ ⑮ فَلَمَّا هِيَ زَبْرَةٌ وَحِدَةٌ فَهَذَا هُمْ
 يَنْظَرُونَ ⑯ وَقَالُوا يَوْمَ بَلَّتْنَا هَذَا يَوْمُ الْدِينِ ⑰ هَذَا
 يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ⑱

معان الكلمات والجمل :

الصاقات	: الملائكة وهي في صنوف متعددة .
الراجرات	: وصف للملائكة ، والزجر : الطرد والإبعاد .
النابيات ذكرا	: وصف آخر للملائكة القاربات لكلام الله المترى عل رسله - صل الله عليه وسلم - .
الشافق	: جمع مشرق - وهي الأماكن المتعددة لشروق الشمس .
السماء الدنيا	: أقرب السموات لن على وجه الأرض .
مارد	: عاصي خارج عن طاعة الله تعالى .
لا يستمعون	: لا يستمعون .
الملا الأعلى	: هم جماعة الملائكة في السماء الدنيا فما فوقها .
ذُخُورًا	: طردا وإبعادا .
وامض	: دائم لا يتقطع أو مؤلم شديد .
خليف الخطفة	: احتبس الكلمة مارة بسرعة .
أتبع شهاب ثاقب	: لغته ما يرى ساقطا من السماء ومشتملا ساطعا فيحرقة .
فاستغثهم	: فاسأله واستخرهم .

لازب	: مناسك لا هو بالسائل ولا بالصلب وهو الربح
يستخرون	: يبالغون في الاستزاء والسخرية
أو آباؤنا الأولون	: وهل يعث آباؤنا الأقدمون كذلك
داخرون	: صاغرُونَ أَذْلَمَ
زجرة واحدة	: صيحة واحدة .. وهي صيحة الملك العرش
فإذا هم يتظرون	: ينظرون بعضهم إلى بعض متظاهرين ما يفعل بهم
يا ولسا	: كلام يقوله التحسر الحالـف .. ومعناه ما أند
	ـ هلاـكـاـ
يوم الدين	: يوم القيمة ، اليوم الذي تُجازى فيه على أعمالنا
يوم الفـعل	: يوم الحكم والقضاء

الشرح

إله واحد:

ما كان للعقيدة السلبية الصحبة أثراها في بناء الحياة الإنسانية على قواعد سلبية ، توصل للسعادة والخير في الدنيا والآخرة .. حرص الإسلام على أن يؤكد في كثير من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - .. على عرض الأدلة ، وإقامة البراهين الدالة على وحدانية الله وكماله . واستحقاقه سبحانه وحده العبادة .

وكان أهل مكة قد اخربوا عما تهدى إليه الفطرة السليمة من الإيمان بـ الله الواحد ، وإخلاص العبادة له وحده .

فجاءت هذه الآيات الكريمة تشد إيمانهم ، وتحذّب أنظارهم إلى هذا الأمر .. بالطريقة التي تعود الناس أن يكون لها من الأبهة والخطر ما يدعو إلى الإصغاء .. فبدأت الآيات بالقسم بالملائكة الذين تصطفون في نظام ، تستقر أوامر ربها .. عابدة مطيعة ، لا تنفرط فيها وكيلاً إليها من أعمال تقوم بها .. كدفع الناس إلى طاعة الله ، وردهم عن معصيته ، وحرامـةـ السمـاءـ منـ أـنـ يـصـلـ إـلـىـ شـيـءـ منـ أـسـرـارـهـ مرـدـةـ الشـياـطـينـ ولاـ تـوقـفـ لـحـظـةـ عـنـ ذـكـرـ اللهـ ، وـ تـلاـوةـ آيـاتـهـ ، وـ حـلـ رسـالـاتـهـ وـ تـبـيـعـهاـ إـلـىـ رـسـلـ اللهـ .

أَقْسَمَ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ تَكْرِعاً لَهُمْ لِتَبَاهِمُهُمْ بِالطَّاعَةِ الْكَامِلَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لِهِ سَبَحَاهُ
وَتَعَالَى ، فَهُمْ « عِبَادٌ مُّذَكَّرُونَ »^(١) ، « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا
أَمْرُهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ »^(٢)

وَكَذَلِكَ لَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِنْدَ النَّاسِ خَلَقَ عَظِيمًا ، لَهُ قُدرَاتٌ حَارِقَةٌ مَرْعُوفَةٌ .
وَالْقَسْمُ الْيَخِيَّلُ لِلنَّاسِ لِاستِفَالِ الْكَلَامِ الَّذِي يَلِيهِ وَالثَّانِي بِهِ ، وَيُؤَكِّدُ الْأَمْرُ
الَّذِي يُعْرَضُ بَعْدَهُ .

وَلَقَدْ جَاءَ الْقَسْمُ هَذَا بِالْمَلَائِكَةِ اللَّهِ - الْمُنْصَفَةِ بِتِلْكَ الصَّفَاتِ الْمُتَقْدِمَةِ - بِإِنْكَادِ
وَحْدَانَيَّةِ اللَّهِ سَبَحَاهُ وَتَعَالَى وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ مَالِكُ السَّوْاْتِ
وَالْأَرْضِ ، وَمِنْ فِينَ ، وَمِنْ فِيهِنَّ ... وَمَا يَبْهِمُهُمْ مِنْ كَانَاتٍ وَمَخْلُوقَاتٍ ...
وَبِيَدِهِ وَحْدَهُ - لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ - يَعْثُثُ الْحَيَاةَ ، وَحَرْكَةَ الْبَلْلِ
وَالنَّهَارِ وَتَسْبِيرُ الشَّمْسِ فِي مَسَارَاتِهَا الْبَوْمَةَ ، طَالِعَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَكَانٍ غَيْرِ الَّذِي
نَطَّلَعَ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَإِذَا غَرَبَ فَهُنَّ - أَيْضًا - يَغْرِبُونَ فِي مَكَانٍ آخَرَ ...
وَمِنْ هَذَا تَتَدَدَّدُ الْمَشَارِقُ كَمَا تَتَدَدَّدُ الْمَغَارِبُ .

السَّلَّا الْأَعْلَى :

عِنْدَمَا يَتَأْمِلُ النَّاظِرُ فِي السَّمَاءِ بِلَا ، وَيَخَافُ عِنْدَمَا يَكُونُ بَعْدًا عَنِ الْعُرَمَانِ
وَالْأَنْسَوَاءِ الْمُبْلَوَّةِ فِي الْطَّرُقِ - يَرَى عَظَمَةَ اللَّهِ سَبَحَاهُ وَتَعَالَى وَغَدَرَهُ ، الَّتِي رَفَعَتْ
السَّمَاءَ بِلَا عَدَدٍ ، وَقَدْ بَثَتْ فِيهَا النَّحُومَ وَالْكَوَاكِبَ ، مَصَابِيحَ نَضْبِيَّ ، وَزَرَبَةَ
تَلَلَّاً مَا بَيْنَ قَرْبَةِ دَائِيَّةٍ ، وَبَعْدَةِ تَائِيَّةٍ ...

وَكُلُّ هَذِهِ الرَّبَّيَّةِ ، وَهَذَا الْجَمَالُ ، إِنَّمَا يَكُونُ فِي أَقْرَبِ سَمَاءِ إِلَيْنَا ، وَأَدَنَاهَا مَا ...
تَشَهِّدُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ سَبَحَاهُ وَتَعَالَى ، وَدَقَّةِ خَلْقِهِ ، وَدَقَّةِ صَنْعِهِ ...
وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ... فَكَيْفَ يَمْهُو وَرَاهُهَا مِنْ سَوْاْتِ لَا نَرَاهَا وَلَا

يَصْلِي إِلَيْهَا عَلَيْهَا الْقَاصِرُ^٤

(١) سُورَةُ الْأَيَّامِ : ٢٦ .

(٢) سُورَةُ الْحَرَمَ : ٦ .

وهذه الكواكب التي تُرِّن السماء ، وَتُبَيَّنُ للناس مسالكهم وتندم عليهم على الطريق والجهات لا يقف شأنها عند هذا الحبر .. وإنما لها وظائف متعددة منها أنها تحرس السماء ، فلا تسع بالاقتراب للشياطين التي كانت تسمع وتحس ، وتعرف أسرار الملا الأعلى ، هادفة من وراء ذلك إلى إصاد الناس ، وفتنهم ، ومحولهم عن الطريق السليم المستقيم ، بما يحصلون من أسرار يفوضون بها ويسفرها إلى أعواهم من المفسدين في الأرض ليصلوا بها الناس .

وهذه الكواكب تخف في حرارة السماء ، فهي متقطة لكل ناحية من توأجها ، فلا تسع بالاقتراب منها ، وتقذف كل من يحاول ذلك ، طاردة له ، مبدلة إياه ، فضلاً عن العذاب الشديد الدائم الذي يتظاهر يوم القيمة . فإذا استطاع شيطان أن يخترق تلك الحرارة ، فيسرق باختلاس وتحف سبع شيئاً مما يدور في الملا الأعلى ، عالمه قبل أن يصل إلى الأرض - شعلة متوجهة من النار الترقدة ، فتخرق جسده ، وتحرقه ، وتقضى عليه .

ولقد ورد في شأن الشياطين ، واستراق السمع لما يدور في الملا الأعلى آيات في مواضع متعددة ، تكشف عن أن الشياطين كانوا يستمعون إلى ما يدور في السماء ، ثم يبلغون ما يسمعونه إلى الكهان الذين كانوا يصلون به الناس حيث يدعون لهم يعلمون الغيب فيصدقون الناس ويكتسحون لهم .

فلا ينزل القرآن الكريم ، تغير الحال ، فقد حاولت الشياطين الوصول إلى شمع الأسرار كما تعودت فوجدت السماء وقد ملئت حراساً شديداً وشرياً (١) .

وما جاء في هذا الشأن قوله تعالى على لسان الحن :

وَإِنَّا لَمَسَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَسِّرَةً سَادِيدًا وَثَبِيًّا (٢)
وَإِنَّا كَانَ قَدْ عُدْ مِنْهَا مَقْنِدَ لِلْسَّمْعِ فَنِيَّتْسِعُ أَلَّا يَعْدَ لَهُ
شَهَابَ رَصَدًا (٣) ،

(١) سورة الجن : ٩٠-٨

هوان المستكبرين:

وحديانية الله سبحانه وتعالى شهد بها كل شيء في الكون ، ظهر أن للحياة خالقاً غير الله ، أو مع الله لما استمرت ولا سارت على هذا النسق الحكم البديع ، ولاختلفت الآلهة ، وعلا بعضها على بعض ، وحاول كل واحد منهم ، أن يعلو شأنه ، ويسيط سلطانه وبخنق مشيئته ، ولكن كل شيء صغير أو كبير يدل دلالة قاطمة ومؤكدة أن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له .

هذا الأمر كان يخالف فيه أهل مكة ، ولا يؤمنون به ، فينكرون إذا دعوا إليه ، ويعادلون بالباطل في رده وإنكاره .

فطلب الله سبحانه وتعالى من رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، أن يسلم عن شأنيهم وحاجتهم وقدرتهم .. وهل هم أقوى وأشد من خلق عظيم يربونه بأيديهم شاغلاً ، إذا نظروا إليه ثم نظروا إلى أنفسهم ، أحسوا بالصفر والموان والضفة .. طلب من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يسأل هؤلاء لعلموا قدرتهم ، ومكانتهم الحقيقي فيدركون أن استعمالهم ليس لهم ما يبرره ، وأهتم في أصل خلقهم من أهون خلق الله ، فقد خلقوا من طين مهاسك لبني لا هو بالسائل ولا المتشاجر . وليس طلب السؤال هنا للوصول إلى إجابة غير معروفة ، وإنما هو لبيان حال المشركين وكيف يجهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه لخدائهم ، ويقدم لهم الدليل ثلو الدليل ، على صدقه في إبلاغهم رسالة رب ..

ويصل به الأمر إلى حد التعجب والدهشة من أمر تكذيبهم له مع وضوح الطريق وعظم الفائدة التي تعود عليهم إن هم استجابوا إلى ما يدعوهن إليه .. ولكنهم في كل ذلك مستمرون في السخرية والاستهزاء ، وكلما دعاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى خير أو حق أو هدى انصرفو عنه ، ولم يتقبلوا نصحته ، وإذا عرض عليهم آيات القرآن الكريم ، أو جررت أمامهم معجزة من معجزاته تصل إلى الله عليه وسلم ، تبادلوا فيها بينهم الاستهزاء به ، وبالغوا في السخرية مما رأوا أو سمعوا .

ولقد جاء في بعض كتب التفسير^(١) أن رجالاً من المشركين من أهل مكة يقال له

(١) التفسير الكبير للحسين باقر الخفيف لأبي حسان.

وَرُكَانَةٌ لِتِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جَبَلِ حَالَ بِرْعَنِ عَنْهَا لَهُ .. وَكَانَ
مِنْ أَقْوَى النَّاسِ قَالَ لَهُ يَارُكَانَةُ .. أَرَيْتَ إِنْ مَرَّتْكَ .. أَتُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ : نَعَمْ ..
فَصَرَعَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَةً .. ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ آيَاتٍ (مُحَاجَاتٌ) مِنْ دُعَاءِ
شَجَرَةِ وَإِقْلِيلٍ .. فَلَمْ يُؤْمِنْ ..
وَجَاهَ رُكَانَةَ إِلَى مَكَةَ فَأَخْبَرَ أَهْلَهَا بِمَا حَدَثَ ، فَسَحَرُوا بِالرَّسُولِ وَاسْتَهْرُوا بِهِ ،

فَنَزَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى فِيهِ وَفِي أَمْتَالِهِ .. وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ^(١)

وَلَقَدْ كَانَ رَأْبِيمْ فِي أَخْبَرِهِمْ بِهِ رُكَانَةَ مِنْ إِقْلِيلِ الشَّجَرَةِ حِينَ دَعَاهُ الرَّسُولُ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ السُّرُورِ الْوَاصِحِ الْبَيْنِ ..

وَهَكُذا أَيْتُ أَنْ أَهْلَ الْكُفْرِ كَمَا كَانُوا أَصْعَفُ خَلْقَ اللَّهِ فِي أَصْلِ تَكْوِينِهِمْ ، هُمْ
أَيْضًا أَصْعَفُ خَلْقَ اللَّهِ عَمَلاً .. إِذَا مَنْسَحِبُوا لِلْهَدِيِ الْوَاصِحِ حِينَ دَعَوْا إِلَيْهِ ، وَلَمْ
يَنْتَهُمُ الْبَرَاهِينُ السَّاطِعَةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَأَنْتَيْ بِمَرْوَنِ عَلَيْهَا فِي كُلِّ حِينِ ..

مُنْكَرُ وَالْبَعْثُ :

أَلَيْدَا مِنْتَنَا وَكَلَّا تَرَابًا وَعَظِلَّمَا أَوْنَا لَمْبَعِرُوْنَ ^(٢)

سُؤَالٌ رَدَّهُ أَهْلُ مَكَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَرَدَّهُ أَسْبَابُ مُتَعَاقَّةٍ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَلَّا
بَعْثٌ فِيهِمْ رَسُولٌ ..

وَهُؤُلَاءِ جِبِيْعَاهُمْ يَسْتَعْدِدُونَ أَنْ تَعَادَ الْحَيَاةُ إِلَى الْمَوْتِ ، بَعْدَ أَنْ يَصْبِحُوا عَظَاماً
بِالْيَةِ ، فَمَا شَاهَدُوا مِنْهَا قَدِيمًا عَادَ إِلَيْهَا عَلَى تَوْلِي الْأَيَّامِ وَالْمَصْوَرِ ..
وَهُمْ كَذَلِكَ يَسْتَعْدِدُونَ الْبَعْثَ لِأَنَّهُ يَسْتَحْضُرُ الْأَكَلَامَ وَالْمَقَاسِدَ وَالْمَظَالِمَ ،
فَيَحْاسِبُونَ عَلَيْهَا ، وَهُمْ لَا يَرْعَيُونَ فِي ذَلِكَ ، وَلَا يَرِيدُونَهُ ، وَيَغْشُونَ مَعَهُ أَنْ يَنْتَصِعُ
مَا كَانُوا يَسْتَوْنَ ، وَيَعْلَمُ عَلَى النَّاسِ مَا كَانُوا يَخْفُونَ ..

(١) سورة الصافات : ١٤ .

(٢) سورة الواقعة : ٤٧ .

وهم أيضا لا يريدون أن تخدع تصريحاتهم بفبركة تحفهم من فعل ما يريدون أو
تصدهم عن ارتكاب ما يشاؤن من المخالفات والمعاصي .
وكان كل ذلك من أكثر الأمور التي تصرف الناس عن الإيمان بالرسول ،
والاستجابة لهم .

الخوف من البعث واستبعاد وقوعه :

ومن هنا كان جموداً أهل للبعث ، وإنكارهم له ، وإيازهم الإيمان به .
وقد مررتنا في حمام سورة (يس) قصة هذا الكافر الذي كان ينكح البعث ويهأه
القرآن الكريم « الخصم المبين » .

ويعني الرد على هذا السؤال .. كما جاء في سورة (يس) وفي كثير من الآيات التي
تحدث عن البعث - حاسما وقويا وقاطعا .. يعلن في وضوح : أن البعث حق . وأنه
آت لا محالة ..

وأن الناس محاسون على أعمالهم وأن أهل الإيمان يشملهم السلام ، وتحفهم
الرحمة .. وأن أهل الكفر والإلحاد ، يعيشون صاغرين أذلاء يحيط بهم الموان ،
ويواجهون المصير الأليم .

وأن البعث يتم في لحظة .. ما هي إلا أن يصبح الملائكة صبح ، ويغدو في بوقه
النفح الثانية ، حتى ينهي الناس جميعا من قبورهم .. ينتظرون بعضهم إلى بعض في
فرع ودهشة ، يتظلون المصير ، ويواجهون في أنفسهم أعمالهم التي سقت منهم ،
ويعلمون جيداً ، أن الأمر جد لا لعب فيه ..
ويفرح المؤمنون بما أعدوا لهذا اليوم .. أما الذين جحدوا وكذبوا فيقولون
لأنفسهم ، ويقول بعضهم البعض ما أحسن حسابنا ، وما أشد هلاكنا ، وما أقسى
العذاب الذي يتضررنا .

فيقال لهم في نكث وتأديب : لقد كذبتم بالبعث ، وكذبتم بالحساب ،
وارتكبتم من الآلام والخطايا والذنوب ما كنتم تظنون في الدنيا أنه مريلا رقيب ، وهذا
قد جاءكم اليوم الذي يأخذ كل واحد فيه حقه ، ويتال جزاء ما فلتم يداه ..
يقال لهم : هذا يوم الفصل بينكم ، وهو اليوم الذي كنتم لا تصدرون بمحبه ،
وستبعدون أن يكون ..

* أَخْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ⑬
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحَّامِ ⑭ وَقِفْوُمُ
 إِنَّهُمْ مَسْعُولُونَ ⑮ مَا لَكُمْ لَا تَنْاصُرُونَ ⑯ بَلْ هُمُ الْيَوْمُ
 مُسْتَلِمُونَ ⑰ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَنْسَاوُنَ ⑱
 قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَنْهَوْنَا عَنِ الْبَيْنِ ⑲ قَالُوا بَلْ أَ
 تَكُونُونَا مُؤْمِنِينَ ⑳ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ
 بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِيْنَ ㉑ فَهَنَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
 لَدَّا إِنْقُونَ ㉒ فَأَغْوَيْتَنَا إِنَّا كُنَّا غَوَّبِينَ ㉓ فَلَمَّا هُمْ
 يَوْمَهُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ㉔ إِنَّا كَذَلِكَ نَعْمَلُ
 بِالْمُجْرِمِينَ ㉕

معاني الكلمات والجمل:

- اخْشُرُوا : اجتمعوا وسرقوا.
- أَزْوَجُهُمْ : أشياهم أو أقرباءهم من العصاة.

فاهدوهم إلى صراط الجمع : فخلوهم وسوقهم إلى طريق النار .
 وقوهم إنهم مستلرون : أحبوهم لأنهم عاصيون ومواحدون على كفرهم .
 لا تناصرون : لا ينصر بعضكم بعضاً .
 مستلرون : أذلاء خاضعون .
 يسأله بعضهم بعضاً في خصم ولئم .
 كتم ثأرتنا عن العين : كتم تصمدون وتنهيون شأن الدين ونصرفونا عنه .
 سلطان : السلطان : الظاهر والجهرة الغالية .
 طاغين : مصرن على المصيبة .
 فحق علينا قول ربنا : ثبت ووجب حكم الله علينا .
 أغورناتكم : دعواناكم إلى الصلال فاستجعتم .
 غاوين : ضالين .
 بالغورن والكافار : المشركون والكافر .

الشرح

وقفة الحساب :

يقال للملائكة في الآخرة عندبعث .. اجمعوا العصاة المذنبين الذين جاءتهم
 رسليهم في الدنيا هدايتهم فانصرفو عنهم ، وحاذوا عن الطريق المستقيم ، وعصوا
 خالقهم وارتکبوا السبات ومصروا في الصلال .
 اجمعوا هؤلاء وأمثالهم من العصاة والفسدسين وأصحاب الخطايا والمتبرزين
 برسليهم ، والفسدسين حلبياتهم وجاهة الناس .
 .. اجمعوهم .. وما كانوا يعذلونه من معمودات ما كانت نملة لهم فنعا ولا
 ضرا .. وانصرفو بعبادتهم عن عبادة الله الخالق للنعم ، الواحد الأحد الذي لا
 شريك له ..

.. اجمعوهم .. وسوقهم إلى طريق النار التي اختاروها لأنفسهم ، بما قدموه
 في دنياهم من انحرافهم عن الحق ، وخروجهم عن الطريق المستقيم ، والتي
 استحوذوا بمحضتهم واستجابت لهم الشهوات ووسيلة الشيطان ، وأحببوا فلا

يتحركون.. لأنهم يسألون عن كل ما فعلوه في دنياهم منها صفر.. فلا كثرة قبلت في الدنيا ، ولا فعلا ، ولا أمرا من الأمور إلا وجوده حاضرا بين أيديهم . مسجل عليهم .. شهد عليهم السليم وأيديهم وأرجلهم .. ثم يسألون عليه الجزاء الأوفي .. ويقال للملائكة - تكينا خلواه الكفار واستبرأهم - قولوا لهم : لماذا لا يصر بعضكم بعضا هاما .. كما كنتم تفعلون في الدنيا ؟ .. وأين ياطلوكم الذي كنتم تخعون فيه ، وتشغلون به عن الحق والهدى ؟ .. ولكنكم لا يعيون ، لأن **الذل** يكسوهم . والخوان يحيط بهم .. فلا يرتفعون رأسا .. ولا يدفعون هوانا .. ويسعنون صوت الحق مدردا من حوض

أذهبت طباعك في حياتك الدنيا واستمتعت بها
فاللهم نجحون عذاب المؤمنين بما كنتم تسكبون
في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفترون

خاخصم أهل النار:

يجد الكفار أنفسهم - وقد أحاط بهم العذاب - لأنّه أخة لم ولا مهرب مما هم فيه فلا يملكون جبنة إلا أن يُنْفِي كل واحد منهم وزر كفره ، وسواء قبّحه على غيره ..

فَيَقُولُ المُسْتَغْفِرُونَ عَلَى مَنْ كَانُوا يَرْتَبِطُونَ بِهِمُ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَقُولُونَ
لَهُمُ الصَّلَاةُ عَلَى أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَيَصْرُفُونَهُمْ بِذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ
الْمُحْدَدِ وَالْحَقِّ ، بَعْدَ أَنْ يَبْرُوئُوا مِنْ شَانَهُ ، وَيَخْتَمُونَ عَلَى مِعَادَةِ الرَّسُولِ فَلَيَذَلِّلُوهُمْ ..

٢٠ - الأستاذة سارة

مدعين لهم أن ماجاء به الرسول إليهم إنما حاولوا به لحرماتهم من الخير والسعادة في دنياهم ، وأن الآخرة وهم باطل ، وأنه لا بعث ولا حساب ..

يقبل المستضعفون يومئذ - وقد ثبَّتُوا كذبَ هؤلاء - فيخاصموهم ،
ويلوموهم ويدركوهم بما كان منهم من إساءة في الدنيا ، وئذين للباطل ..
.. غيرُهُ عليهم هؤلاء .. بأيهم ما كانوا مؤمنين بشيء ، وبأنه لم يكن لهم على عقول أتباعهم سلطان حتى يقهروهم ويرغموهم على عقيدة لا يحبونها .. وإنما هُم الذين اختاروا الكفر والضلال والباطل ، والإصرار على المعصية ..

.. ويقولون لهم : إذا كُنتم في العذاب نتيجةً لکفركم .. فإننا معكم في العذاب وقد تحقق فينا حکم الله ، وتنزلت مشبته ، لأننا شاركناكم الكفر ، وإذا كنا قد أغرتناكم ، ودللناكم على طريق الباطل فما نجحنا منه ، فقد سبقناكم إليه ..
ويُساق الجميع الضالون والمضللون إلى العذاب ، يشارك بعضهم ببعض المقام في الجحيم ، .. ، وما ينجو من العذاب ، ولا من الخلود في النار ، من يشرك بالله ويكفر بما جاء به رسول الله جميعا ، من أول رسول أُذيل حتى خُتم الرسل محمد رسول الله - حصل الله عليه وسلم ..

لَأْنَهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 بَسْتَكِيرُونَ ⑩ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَنَارِكُوا، لِهُنَّا نَاعِمُ
 مَجْنُونٌ ⑪ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدِيقُ الْمُرْسَلِينَ ⑫
 إِنَّكُمْ لَذَاهِقُوا الْعَذَابُ أَلَّا يُبْلِي ⑬ وَمَا يُجْزِونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ⑭ إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ ⑮ أَوْ لَكُمْ لَمْ
 رِزْقٌ مَعْلُومٌ ⑯ فَوَكَدُوهُمْ مُكَرَّمُونَ ⑰ فِي جَنَّتِ
 النَّعِيمِ ⑱ عَلَى سُرُورٍ مُنْقَلِبِينَ ⑲ يُطَافُ عَلَيْهِمْ يَكَاسِ
 مِنْ مَعْيِنٍ ⑳ يَضْنَاءُ كَذَرَةً لِلشَّرِيكِينَ ㉑ لَا فِيهَا غُولٌ
 وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنَزَّفُونَ ㉒ وَعِنْهُمْ قَدِيرَاتُ الظَّرْفِ
 عِينٌ ㉓ كَانُوا يَضْعُضُ مَكْنُونٌ ㉔ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
 بَعْضٍ يَتَّهَمُونَ ㉕ قَالَ قَاءِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
 قَرِينٌ ㉖ يَقُولُ أَوْلَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقُونَ ㉗ أَوْ دَامَتْ

وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظِيمًا أَوْنَالْمَدِينُونَ ⑤ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
 مُطْلِبُونَ ⑥ فَأَطْلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَا الْجِنِّينَ ⑦ قَالَ
 تَعَالَى إِنِّي كَذَّ بَلْ تَرَدِينَ ⑧ وَلَوْلَا نِعْسَةٌ رَفِيْكُنْتُ
 مِنَ الْمُخْضَرِينَ ⑨ أَفَأَنْحَنُ زِمَّيْتُنَ ⑩ إِلَّا مَوْتَنَا
 الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ⑪ إِنْ هَذَا لَمَوْأِلُ الْقَوْزُ
 الْعَظِيمُ ⑫ لِيَمْلِي هَذَا فَلِيَعْمَلَ الْعَمِيلُونَ ⑬

معاني الكلمات والجمل :

يُسْكِنُونَ	يسكنون
أَنَا لَيَارِكُوا لَهُنَا	أَنْتُم الصواب أن تترك عبادة آلهتنا
وَصَدُّقُ الْمُرْسِلِينَ	آمن بتوحيد الله الذي جاء به رسول الله من قبلي
لَدَاهُنَا الْعَذَابُ الْأَلِيمُ	لدائنا العذاب الأليم
الْمُخْلَصُونَ	المخلصين عن الكفر والشرك من خلقهم الله لطاعته
رَزْقُ مَعْلُومٍ	رزق معلوم
مِنْ مَعْيَنٍ	من معين
لَا فِيهَا غُولٌ	لا فيها شر
لَا يُرْتَفَونَ	لا يسكونون وتدفع عقوفهم
فَاقْصُرَاتُ الْطَّرْفِ	فاصرات الطرف
عَيْنَ	عيون

مكتون	: مصون مستور لم يصبه غبار.
قرين	: مصاحب في الدنيا بين الموء.
لدبيون	: محبزيون ومحاسبون على أعمالنا بعد الموت.
مطعون	: ناظرون.
سواء الحجم	: وسط جهنم.
كدت تُشَرِّقين	: أوشكت وقاررت أن تُهْنِيَّكَي بمحاولتك إبعادي عن الإغان.
المُخضرين	: الذين أحضروا للعذاب.
موتا الأولى	: الموته التي كانت في الدنيا.

الشرح

الحق هو ما جاء به الرسول «صلى الله عليه وسلم»:

كان المشركون إذا دعاهم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلى الإيمان بالله وتوحيده ، والتخلي عن عبادة الأصنام ، وإعمال عقوفهم فيما حلها الله به ، من التدبر والاهتداء والإيمان ، .. كانوا إذا دُعُوا إلى ذلك ، وضموا أصابعهم في آذانهم وأصرروا على كفرهم وعندتهم ، واستكروا عن الاستجابة للحق ، وقال بعضهم البعض : أنترك هذه الآلة التي تعيدها ، وتحمي بها ، وتبع إله هذا الشاعر الغيورون ؟ ويتذمرون بذلك رسول الله «صلى الله عليه وسلم».. وما أشد كفرهم وبعدهم عن الحق عندما قالوا قوائمهم هذه .. فهم يعرفون الشعر جيدا ، ويعرفون أن القرآن الذي جاء به محمد ليس شعرا .. وهم كذلك يعرفون رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وعلمون حكته ووجاهة عقله .

ولكتهم يقولون ذلك استكمارا عن قبول الحق ، وترديا في الغواية والضلال .. ولقد جاءهم الرسول «صلى الله عليه وسلم» بالهدى الذي يخرجهم من الظلاميات إلى النور ، وهو يدعوهم إلى توحيد الله ، وتنزيهه وتقديسه .. وهو ما جاء به كل رسول الله الذين سبقوه .. وإن هؤلاء الذين يقولون في «رسول الله «صلى الله عليه وسلم» هذا القول ويصرفون عن المدى الذي جاء به ، ويسْتَشْكِّبون بما هم عليه من الضلال .. سيرضون على النار ليلاً ونهارا ، ويعانون أشد العذاب جزاء ما يعملون ، لا يظلمهم

الله سبحانه وتعالى ، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم ، وجرروا عليها هذا العذاب وهذا القرآن .

تعیین عباد الله المخلصین:

عرفنا لما سلف جزاء المكذبين، أهل الفضلال والمعصية.. فما جزاء من اخبارهم
له لطاعته ، وأخلصهم لعبادته ؟
هؤلاء يقربون الله منه ، وينكثون عن طاعتهم ، ومخربون على إحسانهم وهم
عليهم في الآية أعظم نعيم ..

.. فهو في الجنة يأكلهم عطاياهم موصولا لا يقطع ، فلا تشتهي أنفسهم شيئاً مما شئتم به النفوس ، أو تهأله القلوب ، أو تستريح له العقول ، إلا وبحضوره حاضرا .. يأكلهم رزقهم رغداً وتدلي القواكه عليهم من شحر وارف الفلال ، وهو على أسريرهم في سامر وسعادة ، يطاف عليهم بأوابي يصانة جميلة فاخرة مملوءة بألوان من الشراب اللذية المعن الذي يُنشّش النفوس ، وينبهج القلوب ، ولا يؤذى العقول ولا الأبدان ومهما زوجات جميلات واسعات العيون عفيفات حيات مشرفات مصنوعات مع رقة ولطف ونعومة ، كأثنين البيضين المسود المحفوظ الذي لا يتبنّيه الأندي ولا العدن .

سعیدات بالنظر إلى أرواحهن فلا ينتظرن إلى غيرهم.

الغور العظيم

مرّينا من قبلُ تخاصّمُ أهلِ النارِ ، وَالقاءُ كُلِّ واحدٍ ثبّةً ما هو فِيهِ مِنَ العذابِ

فَالْحِدْيَةُ

من عام نعم أهل الجنة وتعدد الروايات أنهم يجتمعون في تداولهن الأحاديث الطيبة.

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سور متعددة من كتابه الكريم ما كان يدور بين

أهل الجنة من حديث.

وهو في هذه الآيات يعرض لنا حديث واحد من أهل الجنة مع أصحابه ..
فيقول : كان لـ صاحب في الدنيا ، يراهنني ويطعن على أحوالى وشئونى ، فلما عرف

إعاني بالله ، وتصديقي بالبعث والحساب ، استنكر ذلك مني واستبعده ، وكان يقول لي : هل من المقبول أن تعود أحياناً بعد أن الموت ، وتصبح أجساماً تراها وعظاماً بالية ؟ وهل يمكن أن تقوم بعد ذلك وتحاسب على ما قدمناه في حياتنا ؟

ثم يطلب التحدث إلى أصحابه أن يتظروا إلى النار ليعرفوا عافية تكذيب صاحبه بإنكاره للبعث ، وينظر معهم فيه في وسط جهنم ، فيشير إليه وينظر على مكانه .. ويقول مخاطبا إياه : واقف لقد أوشكت أن تهلكي وأن توقعي في العذاب .. ولو لا أن تداركتي الله برحمته ، وشسلني بمنتهي لذكـةـ الآن مـعـكـ حـاضـرـاـ هـذـاـ العـذـابـ ، وـوـاقـعـاـ مـعـكـ فـيـهـ !!

ثم نظر إلى من معه .. وقال : أتعن باقون في هذا النعم بلا نهاية ؟ أتعن في هذه الحياة لا الموت أبداً ؟ .. وأن الموت التي متناها بعد حياتنا في الدنيا لن تذكر مرة ثانية .. ولنخرج من هذا النعم الذي عن فيه إلى عذاب أو إهانة ؟ .. يقول ذلك فريحا سعيداً مردداً : ما أروع سعادتنا !! وما أعظم نعمة الله علينا .. !! وإن هذا الذي يطلنا في الحياة .. من الراحة .. والنعمة .. والسعادة .. لنجاه عظيم ما فرقه نجاح .. وفللاح عال ليس بهذه فلاح ..

وللحصول على مثل هذا النعم ، لا بد أن يدفع الدين العالى من الطاعة والإيمان واليقين .

* * *

أَذْلَكَ خَيْرٌ زَلَّا مِنْ شَجَرَةِ الْرُّقُومِ ⑥ إِنَّا جَعَلْنَاهَا
 فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ⑦ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ
 الْجَحِيمِ ⑧ طَلَعُهَا كَانُورُهُ وَسُلَيْمَانُ
 فَلَمْ يَنْهُمْ
 لَا كُوْنَ مِنْهَا قَاتِلُونَ مِنْهَا أَبْطَلُونَ ⑨ فَمَمْ إِنْ هُمْ عَلَيْهَا
 شَوَّابًا مِنْ حَيْسٍ ⑩ فَمَمْ إِنْ مَرِجُوهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ⑪
 إِنَّهُمْ أَفْوَأُهُمْ أَبَاءُهُمْ ضَالِّينَ ⑫ فَهُمْ عَلَىٰ أَثْرِهِمْ
 يَهْرُونَ ⑬ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ⑭
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ⑮ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْنُهُ
 الْمُنْذَرِينَ ⑯ إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُحْلِصِينَ ⑰

معاني الكلمات والجمل :

زلا	: ما بعد من غبابة واكرام للضيف.
شجرة الرقوم	: شجرة كربة الرائحة متنية ، مرة الفار.
فتنة	: محنة وابتلاء.
أصل الجحيم	: غرار جهنم.

طعنهما .	لستوا من حميم
لئنروا ما يكثرون في أكله .	أفسروا
ووجدوا .	على آثارهم يُهَمْرُّون
يَسْعُونَ دِينَ آبَائِهِمْ فِي نَسْعٍ شَدِيدٍ دُونَ تَدْبِيرٍ .	من سذِّنْ
	ناصِحِينَ مَخْفُوفِينَ ..

الشرح

طعام أهل النار:

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى ما يكون فيه أهل الجنة من نعم وآيات، وفرح بسمة الله عليهم بِنْ في هذه الآيات ما يكون عليه أهل المعصية في الآخرة من عذاب وذلٍ.. فإذا كان أهل الجنة أهل الطاعة يستمتعون بالقائم الكرم ، في ظل ظليل ومن حوضه ما يشتهون ، وهم ما يسيّع العين ، ويشرح الصدر ، ويسعد الأقدمة - فإن هؤلاء العصاة في عذاب مقيم ، وعافية وخيمة ، ومتزل دليل.. طعامهم شجرة الرُّقُوم التي لا ظل لها يظلمهم ، وثمرها مُرّ الطعام كريهة الرائحة، إذا أكلوه ينفل في بطونهم، فلا يطيقون قراره فيها.

ولا يمكن لعقل أن يتصور مقاربة المرايين ، أو تقاربًا بين النهايتين.

شجرة الرُّقُوم تنت في قعر جهنم وتصل أعلاها إلى مازقهم في جهنم ، هذه الشجرة .. أعدها الله لأهل المعصية عذاباً وابتلاء ، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق ما يشاء ، وأن يفعل ما يشاء ، وليس يبعد على قدرته سبحانه أن يخلق في النار شجراً لا ينبعق ، فلنقدر على أن يجعل من الشجر الأخضر ناراً قادر على أن يجعل في النار شجراً لا ينبعق، وإذا اعترض بعض الكفار قدّعا على أن وجود الشجر في النار مما يستحيل عقولاً ، فإن الرّون رد عليهم بأن ذلك ليس بالأمر المستحيل ، فقد استطاع العلم في عصرنا أن يصنع ثياباً لا تخرقها النار ..

فهل بغير الله - خالق النار - عن صنع ما يصنعه حلقة ١١٩

شجرة الرقمن طعام أهل النار :

إِنَّ شَجَرَتَ الْأَزْقَوْمِ^(١) طَعَامُ الْأَثْيَمِ^(٢) كَالْمُهَلِّ
يَغْلِي فِي الْبُطُونِ^(٣) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ^(٤)

ونبرها - إلى جانب طعنه المرور أخته الشدة - فيبح النظر بشع الصورة ، فهو على
هيئة رؤوس الشياطين ، والشيطان أحياناً ما يكون ظاهراً وباطناً ، وليس هناك من
هو أقبح منه ، وحين يشد الجوع بأهل النار ، يوجهون إلى ذلك البر كبرها لا
طوعية ، ويرغمون على ملء البطون منه وهو يغلي كالوحش المذاب فقط
أمعاءهم .. ولا يتركون هكذا وإنما يضيق لهم العذاب .
فإذا أرادوا أن يُسْرِدُوا أجواهم وطلبو ما يطفئ النار التي في بطونهم ، عولجوا
بالحميم وهو ماء شديد الحرارة ينبعج به الصديد والقبح ، يزيدهم إيلاماً على أنفسهم ،
وعذاباً فوق عذابهم ..

وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَذَّبُوا إِنَّا وَكَالْمُهَلِّ يَسْوِي الْوَجْهَ
يُنَسِّ الشَّرَابُ ...^(٥)

فإذا امتلأت بطونهم ، ونقطعت أمعائهم ، ردوا إلى مزانتهم من النار ، لكنكوى بها
جهاهم وجسمهم وظهورهم ، وكلما نفخت جلودهم بذلوا غيرها ليندووا العذاب .

عاقبة الضلال :

لقد جرّ على أهل النار ما هم فيه من العذاب والموان والذل ، أنهم لم يستخدموا
عقولهم التي خلقها الله لهم ليميزوا بها بين الطيب والخبيث ..
كما لم يستجيروا هدى الله الذي تبعث به رساله ، يبيتون لهم الحق والباطل
ويكشفون لهم الطريق المستقيم .

(١) سورة الدخان : ٤٣-٤٤ .

(٢) سورة الكهف : ٢٩ .

ولقد جر العذاب على أهل النار أئمهم اتبعوا آباءهم ، على ما هم عليه من
صلال ، فسروا ورائهم بلا تبر ولا نعكير :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَالْوَالِيَّ بِلَ تَبَعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
﴿١﴾
أَبَاءَنَا

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَالْوَالِيَّ بِلَ تَبَعُ مَا أَفْسَنَا عَلَيْهِ
﴿٢﴾
أَبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

فكان هؤلاء ، دانوا أنفسهم بسارعون في الكفر ، وهم يصررون عليه ويشترون به ، وهم
كذلك لم يعطوا عن سفهم من صلوا الطريق ، وانحرفو عن هدى الله ، وجاءتهم
رسالهم بالبيان ، لكنثروا واستكروا ، فأناهم عذاب الله وهم أحباء ، فخربت
ديارهم ، وأهلكت أموالهم ، وجعل عالي ديارهم ساقطها ، وأهلكهم إعلاكاً شديدة ..
غرقوا كل هذا ، وعاقبة هذا الكذب ، والأثار من حوشم تشهد بذلك ... ومع
هذا لم يتعظوا ، ولم يوقفوا ، وطلوا في صلافهم ، وعلى عنادهم مصرىن وما يجاور من
هذا السلوك ، وهذا المowan الذي وقع فيه هؤلاء المكذبون إلا من وفقه الله وهداه إلى
اتباع الحق ، وأخلص حقله ، وتبر ما حوله ، فعبد الله وحده ، ولم يشرك به شيئاً ،
وانفع بما حوله من غيره وأثار للأقمين ثبته على طريق الحق والصراط المستقيم .

(١) سورة لقمان : ٤١ - (٢) سورة الفرقان : ١٧٠ -

٥

الآيات من ٧٥ - ٨٢ من سورة «الصافات»

وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَلَمْ يَعْمِلُ الْمُجَيِّبُونَ ٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلْنَا فِرِيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ ٧٧
وَرَكِّنَاهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٧٨ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي
الْعَالَمَيْنَ ٧٩ إِنَّا كَذَلِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٠ إِنَّمَا
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٨١ فَمُّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ٨٢

معاني الكلمات والجمل :

نَادَانَا : دعانا واستغاث بنا .
وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ : وأنقذناه من العرق هو ومن آمن به واتبعه
الْعَظِيمِ
رَكِّنَاهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ : أبقيا له الذكر فيمن يأتي بعده .
الْآخِرِينَ : من كذب به ولم يؤمن به .

الشرح

دعاء .. واستجابة :

مَا سَرَّى بِهِ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ ، فَصَصَّ السَّابِقِينَ مِنَ الْأَنْيَاءِ ، وَمَا كَانَ مِنْ
أَقْوَامِهِمْ مِنَ الْإِنْدَاءِ لَهُمْ ، وَالنَّكْدِيبُ بِهِمْ ..

وَنَدِأَ الْقُصْصَ بِمَا كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَقَوْمِهِ . إِذَا اشْتَدَ إِيمَانُهُمْ لَهُ ، وَتَكَبَّرُهُمْ بِهِ
حَتَّىٰ حَوَّلُوا الْفَنْكَ بِهِ وَبَعْنَ آمِنَ مَعَهُ .
مَا كَانَ مِنْ إِلَّا أَنْ اسْتَغْاثَ بِرَبِّهِ ، وَلَهُ إِلَىٰ جَاهَهِ

﴿فَدَعَاهُ رَبُّهُ أَلَّا يَعْلُمُ فَأَنْتَصَرَ﴾^(١)

وَمَا أُسْرَعَ مَا كَانَتِ الْإِجَابَةُ - وَاهْدِهِ نَعْمَانُ الْعَبْدِ - فَكَشَفَ عَنِ
الضَّرِّ ، وَأَظْلَهُ بِحَيَاتِهِ وَكَانَ الرُّدُّ عَلَى دُعَائِهِ ، إِجَابَةٌ حَاسِنَةٌ فَوْرِيَّةٌ :

**﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ عَلَىٰ مَنْهِمْ ⑪ وَبَغَرَّنَا
الْأَرْضَ عَيْنَاهُ فَالْتَّقَ السَّمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫
وَحَلَّتْهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَرْجَ وَدَسَرَ ⑬﴾**^(٢)

وَأَنْقَدَ اللَّهُ نُوحًا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ ، حِينَ أَمْرَهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي تِلْكَ السَّفَيْنَةِ الَّتِي أَمْرَى بِصَنْعِهَا
مِنْ آمِنَ مَعَهُ ، فَدَعَاهُمُ اللَّهُ :

**﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا سِمَّ اللَّهِ مَجْرِنَاهَا وَمُرْسَنَاهَا إِنَّ رَبَّي
لِغَفُورٍ رَّحِيمٍ ⑭﴾**^(٣)

وَتَعْوِجُ الْأَرْضَ مِنْ حَوْفِهِ بِالْطَّوفَانِ ، وَلَا تَرْفَعُ النَّجَادَةُ طَرِيقَهَا لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ . أَمَا
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَلَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ ، وَخَرَجُوا عَنْ هُدَى اللَّهِ فَكَانُوا مِنَ الظَّالِمِينَ .

(١) سورة التمر : ١٠ .

(٢) سورة التمر : ١٣-١١ .

(٣) سورة هود : ٤١ .

وَقَبْلَ يَنْارِضُ أَبْلَى مَاءِكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَى وَغَبْسَ
 الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوْتُ عَلَى الْجُنُودِيَّ وَقَبْلَ
 بُعْدًا لِلْقَرْمِ الظَّالِمِينَ ^(١)

وهلك كل الناس إلا من آمن مع نوح ، وكل من يحيا على ظهر الأرض منذ ذلك الطوفان وحتى يرث الله الأرض ومن عليها - هم من ذرية نوح ومن كانوا معه من أهله الذين آمنوا به وأبوه ونصروه .

وأنهى الله له ذكرا طيبا ، وثناه عاطرا على مر العصور والأجيال ، لأنه حمل أمانة الرسالة ، وبلغها فاحسن التحمل ، وأحسن الأداء ، وصبر في سبيل ذلك ، وتحمل الشدائـد والإيداء .. فكفاءـه الله في الدنيا بالتأيـيد والحماية والنصر ، وأنهى له الثناء الطيب والذكر الحسن .

كما أعد له ما هو أهله من نعيم في الآخرة وإحسان .
 وما يُقْبِلُ عَلَى الإِحْسَانِ مَحْسِنٌ إِلَّا وَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ جَزَاءٌ لِلْإِحْسَانِ ، يَفْوَقُ الْمَدْ
 والإحسان .

ولقد استحق نوح عليه السلام ما حباه الله به نتيجة إيمانه وصدق عبوديته لله سبحانه وتعالى ، كما استحق من كلب من قومه ولم يؤمن به ، ما تزل بهم من الإهلاك والإغراق .

* * *

* وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِرَبِّهِمْ ⑧ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ يَقُولُ
 سَلِيمٌ ⑨ إِذْ قَالَ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ⑩
 أَنْتُمْ كَاذِلُّةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ⑪ فَأَخْلَقَنَا بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ⑫ فَنَظَرَ نَظَرَةً فِي الْجُحُومِ ⑬ فَقَالَ إِنِّي
 سَقِيمٌ ⑭ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُذَمِّرِينَ ⑮ فَرَاغَ إِلَى الْمَهْمَمِ
 فَقَالَ أَلَا تَكُونُونَ ⑯ مَا كُنْتُ لَا تَنْطِقُونَ ⑰ فَرَاغَ
 عَلَيْهِمْ ضَرِبًا بِالْمَبِينِ ⑱ فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْثُونَ ⑲ قَالَ
 أَتَعْبُدُونَ مَا تَخْتَنُونَ ⑳ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ㉑
 قَالُوا أَبْشِرْنَا لَهُ بُنْيَنَا فَأَلْفَوْهُ فِي الْجَحِيمِ ㉒ فَلَرَادُوا يَهُ
 كَبِدًا بِعَلَتِهِمُ الْأَسْفَلِينَ ㉓ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى
 رَبِّي سَيِّدِي مِنَ الصَّالِحِينَ ㉔

فَبَشَّرَنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّقَى قَالَ
 يَدْبُغُ إِنِّي أَرَى فِي النَّمَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى
 قَالَ يَتَابُتْ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
 الْأَصْلِيْرِينَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَمَّرَ لِلْجَيْنِ ﴿٣﴾ وَنَذَرَتْنَاهُ
 أَنْ يَتَأْبِرِيزِهِمْ ﴿٤﴾ قَدْ صَدَقَ الْأَرْهَبَاءُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُخْبِيْنَ ﴿٥﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْكَلْتُرُ الْأَنْبِيْنَ ﴿٦﴾
 وَفَدَيْتُهُ بِرِجْحٍ عَظِيمٍ ﴿٧﴾ وَرَسَّاكَ عَلَيْهِ فِي الْأَيْرِنِ ﴿٨﴾
 سَلَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُخْبِيْنَ
 إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَبَشَّرَنَاهُ بِإِعْتِدَنَقِيْبَاهُ مِنْ
 الْأَصْلِيْرِينَ ﴿١١﴾ وَرَسَّاكَ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْتَنَقِيْبَاهُ مِنْ دُرَيْتَاهُ
 مُحْسِنٌ وَظَالِلٌ لِنَفِيْهِ مُبِيْنٌ ﴿١٢﴾

معاني الكلمات والجمل:

من شبهه : إبراهيم متفق مع نوع في أصل الدين وهو التوحيد .
 سليم : حال من الشرك والشك .

: أكذبوا و باطلوا .	أفكا
: كيف جهلت عظمة الله فبعدتم غيره ؟ .	ظنك رب العالمين
: مريض .	سقير
: فتركوه و انصرقوها عنه مسرعين .	قولوا عن مُذنبين
: ذهب خُلُبة إلى الأقسام .	فراغ إليهم
: يسرعون في مشيهم .	يتزلفون
: دبروا إعلانًا .	أرادوا به كيدا
: الملعوبين الأذلاء .	الأسفلين
: مهاجر و مفارق دياركم .	ذاهب
: كبر وأصبح قادرًا على العمل مع أخيه .	بلغ معه السُّفي
: استسلاماً لأمر الله تعالى .	أسلا
: أشتجحه على الأرض على أحد جنيه .	ثُلُّ للجبن
: وفيت ما رأيت في منامك .	صَدَقَتِ الرؤيا
: الحلة الواضحة .	البلاء اليين
: يكثُر عظيم .	يلْبَيْرُ عظيم
: أمدناه ورزقناه بركة الدين والدنيا .	واركنا عليه

الشرح

إبراهيم وقومه:

عرفنا من قبيل ما كان من شأن نوح - عليه السلام - مع قومه ، وما آتى الله أمر المؤمنين والكافرين .

وفي هذه الآيات سنعرف ما كان من شأن إبراهيم - عليه السلام - مع قومه . فهو على النجع نفسه الذي كان عليه نوح من الإيان بالله والتوحيد ، وقد أُقتلَ على عبادة الله بقلب خال من الشك والتفاق والشرك ، خالص له سبحانه وتعالى .. وكان قومه يصنعون أنساناً بأيديهم ، يخلونها حيناً من الحجارة ، وحينما من الأخشاب ، ثم يدخلونها من بعد ذلك الله يجلبونها ..

فَحَرَّ في نَصْهَ ما هُمْ فِيهِ مِنْ شَرِكٍ ، وَأَفْرَغَهُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ . وَكَانَ أَبُوهُ
«أَزْرٌ» يُشَارِكُ الْقَوْمَ هَذِهِ الْعِادَةَ .

فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَمِنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمٍ . يَسْتَكْرِرُ مَا يَفْعَلُونَ ..
وَسَأَلَمْ : هَلْ تَصْدِقُونَ أَنْتُمْ أَنفُسُكُمْ أَنْ مَا تَصْنَعُونَ يَأْدِي بِكُمْ إِنْكَنْ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهَا ..
وَهُوَ لَا يَسْمَعُ لَا يَبْصُرُ لَا يَعْقِلُ لَا يَنْفَعُ لَا يَبْصُرُ ! ! !
إِنْكُمْ بِهَذَا الْعَمَلِ الَّذِي تَعْمَلُونَ تَعْشِيْنَ فِي وَهْمٍ وَبَاطِلٍ ، وَتَحْبُّونَ فِي ضَلَالٍ كَثِيرٍ
وَتَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ أَفْيَحُ الْكَذِبَ .

وَلَقَدْ جَهَنَّمْ عَظَمَةَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَقَدْرَتُهُ ، وَقُدرَتُهُ ، حَتَّى دَفْعَكُمْ هَذَا
الْجَهَنَّمُ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ عِادَةِ الْأَضَالَمِ ..
أَفَلَا تَصْوِرُونَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ يَسْتَطِعُ أَنْ يَعَاقِبَكُمْ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ أَشَدَّ
الْعِقَابِ ! ! !

لَمْ يَهْمِ قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمَّا قَالَهُ لَهُمْ ، وَلَمْ يَسْتَفِدُوا مَا وَعَظُهُمْ بِهِ .. وَكَانَ
لَهُمْ عِيدٌ يَعْتَلُونَ بِهِ .. وَقَدْ اعْتَادُوا أَنْ يَبْثُوا طَعَامًا فِي هَذَا الْيَوْمِ .. يَصْعُونَهُ عَدَّ آتِهِمْ
الَّتِي يَعْدُونَهَا ، ثُمَّ يَدْهَبُونَ إِلَى مَكَانِ الْاحْتِفَالِ .. فَإِذَا اتَّهَمُوا .. رَجُلُوا إِلَى آتِهِمْ
وَأَكَلُوا الطَّعَامَ الَّذِي تَرَكُوهُ عَنْهُمَا ..

يَدُعُّ أَنَّهُمْ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ مَوْعِدَتِهِ لَهُمْ ، وَالَّتِي لَمْ يَأْخُذُوا بِشَيْءٍ مِّنْهَا
نَظَرُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضِ الْآخَرِ .. وَقَالُوا فَهَا يَهْمِنُمْ .. لَقَدْ تَأْخَرْنَا عَنْ مَوْعِدِ الْاحْتِفَالِ ..
فَهُمْ بِهِ .. وَطَلَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَصْحِّبَهُمْ إِلَى مَكَانِ الْاحْتِفَالِ ..

وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَا يَرِدُ أَنْ يَدْهُ مَعَهُمْ ، لَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَقَالَةٍ
فَاسِدَةٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْتَالَ لِذَلِكَ .. فَفَتَّرَ إِلَى السَّماءِ وَهُوَ يَتَأْمِلُ عَظَمَةَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ
وَتَعَالَى ، فَتَوَقَّمَا أَنَّهُ يَسْتَأْتِمُ النَّجُومَ لِتَدَاهُ عَلَى مَا يَدْعُلُهُ - وَكَانَ النَّجُومُ شَائِعاً فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ بَيْنَ النَّاسِ ، يَصْوِرُونَ أَنَّ النَّجُومَ تَكْشِفُ لَهُمْ شَيْئاً مِّنَ الْأَسْرَارِ - فَقَالَ
لَهُمْ بَعْدَ طَوْلِ نَظَرٍ إِلَى السَّماءِ : إِنِّي مَرِضْتُ بِعَرْضٍ مُّعَذِّبٍ ، يَكْنِي أَنْ يَتَنَقَّلَ إِلَيْكُمْ ،
فَأَعْتَدُوا عَنِّي هَارِبِينَ خَوْفاً مِّنْ أَنْ يَصْبِبُمْ مَرْضَهُ .

وَمَا حَلَّ لِجُنُوْلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَاطْسَانَ إِلَى أَنْ أَحَدًا لَا يَرَاهُ ، مَالَ مُسْتَخْفِيَا وَتَنَوَّلَ فَأَسَأَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى هَذِهِ الْأَسْنَامِ ، وَقَدْ وَضَعَ الطَّعَامَ إِلَيْهَا ... قَالَ مُسْتَبْرَثًا بِهَا سَاحِرًا مِنْهَا : أَلَا تَأْكِلُونَ ! ؟ هُنَّا نَقْدِمُوا إِلَيْهِ الطَّعَامَ فَكَلَّا مِنْهُ مَا تَشَاءُونَ ! وَلَا مِنْ نَجْهَهُ - بِوَمَا كَانَ لَهُ أَنْ تَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ . فَهِيَ لَا تَسْعَ وَلَا تَنْقُلُ .. وَلَا نَبْغِ شَيْئًا - عَادَ يَسْعِرُ مِنْهَا ثَانِيَةً : مَا لَكُ أَبْنَاهَا الْأَسْنَامِ ؟ مَلَدَا لَا تَنْقُلُنِينَ ! ؟ ثُمَّ رَفَعَ فَأَسَأَ بِيَمِّهِ وَأَعْدَدَ يَحْطِمَ بِهَا آتَهِمْ مِنَ الْأَسْنَامِ .. حَتَّى جَعَلَهَا حُطَّامًا إِلَى حَسْنَتَا وَاحِدًا ، هُوَ أَكْبَرُهُمْ ، قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَحْطِمْهُ ، وَوَضَعَ الْفَأْسَ أُمَّاهَهُ .

فِي أَنْتَاهِهِ ذَلِكَ كَانَ الْقَوْمُ قَدْ أَنْهَوْا احْتِفَالَهُمْ ، فَمَادِرُوا مَسْرِعِينَ إِلَى الْأَسْنَامِ فَوَجَدُوهَا مُحْطَمَةً ، إِلَّا هَذَا الصَّمْ الْكَبِيرِ .

فَلَا شَاهَدُوا ذَلِكَ ، وَقَفُوا مَذْهَوْلِينَ شَارِدِينَ ، لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ ..

يَسَاءُونَ فِي بَيْتِهِمْ :

١٩) « قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ①) »

فَرَدَ بَعْضُهُمْ حَسْرَ حَوَارَ إِبْرَاهِيمَ مَعَ أَيْهَ :

٢٠) « قَالُوا سَمِعْنَا فَتَّى يَدْكُوكُهُمْ يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ②) »

فَصَلَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا :

٢١) « قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَبَدَّلُونَ ③) »

فَلَا جِيْ .. بِهِ :

٢٢) « قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَنْتَزِعُهُمْ ④) »

١) سورة الأنبياء : ٤٩

٢) سورة الأنبياء : ٦٠

٣) سورة الأنبياء : ٦١

٤) سورة الأنبياء : ٦٢

**فَاجِهْمُ مُسْنِيْبَا بِعَوْهِمْ : « قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَيْرُهُمْ هَذَا
فَشَلُوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ ②٦ »**

فَكَتَ الْقَوْمُ قَبْلًا ، وَهُمْ لَا يَحْدُثُونَ مَا يَرْدُونَ بِهِ عَلَيْهِ ، حَجَلاً مَا أُوقِّهِمْ فِي
مِنْ هَوَانٍ يَدْعُو إِلَى السُّخْرِيَّةِ وَاسْتِهَانَةِ تَدْفَعُ إِلَى الدَّلْلِ ..

ثُمَّ عَادُوا يَقُولُونَ : إِنَّكُمْ تَعْرِفُ جَدًا أَنَّ هَذِهِ الْآلَمَةَ لَا تَنْطِلُ ، وَلَا تَكْلُمْ ..
فَاجِهْمُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا قَوْمَ لَا يَدْأُ أَنْ تُغْنِيُّوكُمُ الْيَتَمْ وَهِيَ اللَّهُ
لَكُمْ ، وَتَنْكِرُوْهَا بِهَا ، بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .. وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي
تَعْدُونَهَا ، قَدْ صَنَعْتُمُهَا بِأَيْدِيكُمْ ، وَهِيَ لَا تَخْلُكُكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًا .. وَاللهُ
بِسْمَهُ وَتَعَالَى الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَأَجَابَكُمْ ثُمَّ يَبْيَكُمْ ، هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ
الْعَظِيمُ ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَعْبُرُ لَهُ الْعَادَةُ ، وَسَتْحِنُ الطَّاعَةُ ، لَأَنَّهُ وَحْدَهُ يَهْدِي
إِلَى الْحُكْمِ ، وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ..

وَلَكِنَّ قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ - وَقَدْ مَلَكُوهُمُ الْكَثِيرُ ، وَسَيْطِرُ عَلَيْهِمُ الْكُفَرُ - أُبْرَا الْإِسْتَأْنَاعَ
إِلَيْهِ ، وَرَفَضُوا الْإِسْتِجَابَةَ لَهُ ، وَفَكَرُوا فِي الْعَقْوَةِ الَّتِي يَعْكِنُ أَنْ يَوْقُومُهَا بِهِ ، تَسْتِهَانَهُ
بِالْأَقْشِيمِ ..

وَاسْتَفْرَأُوهُمُ الرَّأْيَ عَلَى أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى بَيْتَنَا كَبِيرًا ، ثُمَّ يَمْلُؤُوهُ بِالْأَحْشَابِ وَيَشْعُلُوْهَا
النَّارُ الْمَأْتَلَةُ ، ثُمَّ يَقْبِدُوهُ بِالْحَيَالِ ، وَيَطْفُوْهُ فِيهَا ..
وَنَدَأُوا ذَلِكَ فَعْلًا .. حَتَّى إِذَا اكْتَمَ الْأَمْرُ ، أَوْتَوْهُ ، وَأَفْقَرُوهُ فِي النَّارِ ..

**« قَالُوا سَرِقُوهُ وَأَنْصُرُوا مَهْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِيْنَ ③٧
يَنْتَرُ كُوْنِي بِرْدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ④٨ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ⑤٩ »**

(١) سورة الآيات : ٦٣ ..

(٢) سورة الآيات : ٦٠-٦٨ ..

واستجابت النار لأمر ربه ، فاحترقت الحال التي كانت تهدى إبراهيم .. أما هو فقد خرج من تلك النار سليما ، وفي عافية بين دهشة القوم وذهولهم .. وقال لهم : إن المقام ينكم وأنت على هذه الحال السبعة من الكفر والمعصية لا يلتفت في .. وإنني أخرج مهاجرًا إلى مكان أجد فيه السكينة والطمأنينة ، لأنفري في إلى عيادة ربى ، وسوف يهدى إلى ما فيه صلاح ديني وديني ..

وبعد أن ترك إبراهيم - عليه السلام - أرض **بابل**، التي كان يعيش فيها مع أبيه وقومه ، واستقرَّ به المقام في أرض الشام ، لم يجد منه أحدا ، فأحسن بالوحدة الوحشة ، فاجتمع إلى ربه يدعوه أن يعن عليه ، وبهبه ولدا صالحا يربُّه ، وزريل ومحمله من بعده ..

فجعل الله إجابة دعاته ، وشرَّ إبراهيم بأنه سيكون له ولد عاقل صالح شديد الحلم والله سبحانه وتعالى يستجيب لعيادة المؤمنين الطائعين ، فيقضي حواتجهم وتحقق آمالهم ..

تصديق الرؤيا :

بعد أن استجاب الله سبحانه وتعالى لابراهيم .. وجاءه إسماعيل الذي يشره به ربه وكثيراً وشتد عوده ، وأصبح قادرًا على الصم مع أبيه - رأى إبراهيم في منامه رؤيا ، قصها على ولده عندما قام من نومه ، فقال له : لقد رأيتك وأنا نائم - أني أذنك مما الذي تشير به ، وما الذي تراه في ذلك ؟

فكان جواب إسماعيل ، جواب العاقل الرشيد ، الفاهم الحكم ، الذي يعلم أن أيام بي مبارك ، وأن رؤيا الأبناء حق ، واحب التفاصيل ..

قال إسماعيل : يا أبا افضل ما تؤمر ، وسوف تجد مني الطاعة والصبر بعون الله ومشب ..

واستعد إبراهيم لتنفيذ الرؤيا التي رأها ، واستسلم هو وولده لشيبة الله وإرادته .. فأشبع ولده إسماعيل على الأرض ، على أحد جنبه ، واستعد لذبحه .. تنفيذاً لأمر الله ..

ولكن سرعان ما جاء النداء لإبراهيم ، طالبًا إليه أن يرفع يده ، وألا يندى ما بدأه .. فقد علم الله صدق إيمانه ، وحسن انتاجاته . وإنسان طاعته وإخلاصها ، واحتسابه المحبة الشديدة التي وقع فيها ، والبلاء العظيم الذي امتحن به عند الله سبحانه وتعالى ..

فأكرمه الله ، وأمنه بعطاء عظيم جزاء إحسانه وصبره ، فحفظ له ولده ، وقدمه بكش كبير الجسم ..

وقد أبقى الله - سبحانه وتعالى - ذكر إبراهيم طيباً مباركاً محسوداً تناقله الأجيال جيلاً بعد جيل ، عارفةً له فضله ، ذاكرةً طاعته ... وهذا جزاء عظيم يكرم الله به عباده الطائعين ، ومحظى به الذين يحسنون العمل . مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وإلياناً به ..

وقد كان إبراهيم - عليه السلام - من عادة المؤمنين الحسينين الصابرين على أعظم بلاء لم يتعنّ بهم أحد من قبله ولا من بعده ..

وزاد عطاء الله سبحانه وتعالى لإبراهيم .. فقد طلب غلاماً صالحًا فوره الله له . ولكن لم يقف به عند هذا الحد .. بعد أن أخبره فكان من المأذين .. بل يشوه بمحاجق أخيه إسماعيل ، كما يشوه بأنه سيكون من الأنبياء الصالحين يحمل عبء الرسالة ، ويُنقل للناس دعوة الحق وتوجيه الله سبحانه وتعالى ، والتزام أوامره واجتناب نواهيه ..

وأفضل الله سبحانه وتعالى على إبراهيم وعلى إسحاق البركة والخير الكثير . فجعل الأنبياء من بعدهما من نسلهما ما عدا - خاتم الأنبياء محمدًا - صلى الله عليه وسلم - فلأنه من نسل نبي الله إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام .

ومن ذرية إبراهيم وإسحاق يكون الأنبياء والصالحون ، وأهل الإيمان والطاعة ، كي يكون منهم من يظلم نفسه بالكفر والمعصية ..
والحسن ينال جزاء إحسانه ، ولا تغدو إساءة المسيء ، والمسيء ينال عقوبة إساءته لا يدفعه ولا ينجيه أنه من نسل أنبياء صالحين ...

الآيات من ١١٤ - ١٢٢ من سورة «الصافات»

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَرُونَ ⑪ وَجِئْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ⑫ وَنَصَرْتَهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَلَيْلِينَ ⑬
وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ⑭ وَهَدَيْنَاهُمَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑮ وَرَزَقْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ⑯
سَلَمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَرُونَ ⑰ إِنَّا كَذَلِكَ نَخْرِي
الْمُحْسِنِينَ ⑱ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُزَمِّنِينَ ⑲

معاني الكلمات والجمل :

ما : أَعْنَى وأَعْطَيْنَا .

الْكَرْبُ الْعَظِيمُ : الْعَمُ الشَّدِيدُ : والمقصود هنا : إِذْلَالُ فَرْعَوْنَ

وَالْعَرْقُ مَعَهُ .

الْمُسْتَقِيمُ : الْوَاصِحُ الْبَيْنُ الْمُعْصَلُ .

الشرح

موسى .. وقومه :

كان فرعون أحد ملوك مصر في فترة من الفترات . قد علم عن طريق المقربين أن
ملكه ميدهب على يد واحد من بي إسرائيل .

وكان بني إسرائيل يعيشون تحت سلطانه . فقرر الإيقاع على كل أئتي تولد . وقتل كل من يولد من الذكور .

وكان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن ينجو موسى من القتل ، وأن يترى في قصر هذا الفرعون حتى إذا كبر وشبَّ وكُلِّفَ بالرسالة .. أراد الله أن ينقذ به بني إسرائيل من الموان ومن الملة التي كانوا يُعاملون بها من الفرعون في ذلك الوقت .

وشنَّ الله أَنْزَلَ موسى بِهَارُونَ أَخِيهِ ، وَأَيَّدَهَا بِالْتَّوْقِينِ ، وَأَعْنَاهَا عَلَى إِنْقَاذِ قَوْمِهَا وَنَجَاهُمْ جَمِيعًا مِنْ ظُلْمِ فَرْعَوْنَ وَيُطْشِهِ ، أَمَّا هُوَ وَجْهُهُ فَقَدْ فَصَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِعْرَاقِ .
وَأَيَّدَ اللَّهُ مُوسَى وَمَعْهُ هَارُونَ بَعْدَ الْبُرُّو بِكِتَابٍ وَأَضَحَّ بَيْنَ مَفْصِلَ الْأَحْكَامِ ،
هَدَاهُمْ بِهِ وَقَوْمَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ السَّلِيمِ ، وَالْتَّعَامِلِ الصَّحِيفِ ، وَالسُّلُوكِ الَّذِي يُؤْدِي مِنْ
يَطْبُعُهُ إِلَى السَّلَامَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَالسَّعَادَةِ فِي الْآخِرَةِ .
وَلَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ الْذِكْرَ الْطَّيِّبَ فِي الدُّنْيَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمَا مِنْ
الْأَحْيَاءِ وَحْتَ تَسْبِيحِ الْحَيَاةِ .

كَمَا أَعْدَ لَهُمَا عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءَ الْوَمَنِينَ الْحَسَنِينَ .. فَقَدْ أَتَنَا فَاحِشَاتَ الْإِيمَانِ
وَعَدَنَا فَاحِشَاتَ الْعِبَادَةِ ، وَكَلَّفَنَا بِالرَّسُالَةِ فَلِنَّا وَاحِشَاتَ الْقِيَامِ بِأَمْرِهَا عَلَى أَحْسَنِ وِجْهٍ .
وَلَنْ يَكُونَ جَزَاءُ كُلِّ مَنْ يَحْسِنُ الْعَدْلَ أَقْلَى مِنْ هَذَا الْجَزَاءِ .. فَاللهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى
لَا يُضِيغُ أَنْجَرَ مِنْ أَحْسَنِ عَمَلاً .

* * *

٨

الآيات من ١٢٣ - ١٣٢ من سورة «الصافات»

وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا
تَشْكُونَ ١٢٤ أَتَدْعُونَ بِعَلَىٰ وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَلِيلِينَ ١٢٥
اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ أَبَابِلِكُمْ ١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَلَمْ يُمْ
لْمُحْضُرُونَ ١٢٧ إِلَّا يَعْبُدُونَ اللَّهَ الْمُخَلِّصَينَ ١٢٨ وَرَجَّا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرَةِ ١٢٩ سَلَّمَ عَلَىٰ إِلَيْهِ يَسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَّلِكَ
نَجْزِي أَلْمُحْسِنِينَ ١٣١ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١٣٢

معاني الكلمات والجمل:

أندعون بعلا	: أبلين أن نعدوا من دون الله صنيا؟
ندرؤن	: تركون
إلى ياسين	: إبليس (واباء والتون زائدان).

الشرح

إِبْرَاهِيمَ .. . وَقَوْمُهُ :

احجاج بنو إسرائيل العديد من الأنبياء والرسول، وذلك لكثره اخراقاتهم
وتأتهمهم ، وخروجهم عن الحق، وميلهم إلى الماطل، وزركهم دعوة الله إلى ما يحرّم
إليه الشيطان ويدعوهم إليه أهوى ..

ومن بين من أرسله الله إليهم إلياس - عليه السلام -، فقد أرسله سبحانه وتعالى إليهم ليخرجهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد بعد أن كانوا قد تركوا الالتزام بها جاء به موسى - عليه السلام ، وانحرفو عنها دعوهم إلى التوراة التي جاءهم بها موسى من قبل .

ولقد بين لهم إلياس - عليه السلام - فساد رأيهم ، وبطளان معتقدهم ، وبين لهم كذلك أن الذي يتجهون إليه بالعبادة والدعاء ، وهو الصنم «بعل» لا يملك لهم شيئاً ولا ضراً ، ولا يسمع ولا يصر .. وما يكون لهم ولا لعاقل أن يترك عبادة الله الذي أحسن الخلق ; ودبر الأمر . وبدأ خلق الإنسان ، وإليه يرجع كل ما في الأكون .. ما يكون لأحد أن يترك عبادة هذا الخالق العظيم ... ثم يتوجه إلى سواء ... إلا إذا كان قد قصد عقله ، وضاعت منه الحكمة ، وغابت عنه التقوى . ولكن كثيراً من قوم إلياس عليه السلام - لم يستجيبوا له ، ولم ينتفوا إلى قوله .. فوعدهم الله بالخلود وحكم عليهم بالخلود في العذاب يوم القيمة ، والمحضور إلى ساحة الذل والهوان جراء كفرهم وعبادتهم لغير الله ..

أما الذين استجابوا له ، وأخلصوا له العبادة ، فقد تحاهن الله باستجابتهم للحق ، وأعد لهم في الآخرة جنات النعم .

وأيقن لإلياس - عليه السلام - المذكر الحسن في الدنيا ، وجراة المقربين من رسول الله في الآخرة ، جراء حسن الإيمان ، وأمانة التبليغ .

ويقال إن إلياس أرسل إلى قومه يأخذى مدن الشام ، وهي حالياً بلستان في «بعلبك» التي يقال إن اسمها مركب من «بعل» ، «بلا» أي مدينة بعل .

وَإِنَّ لُوطاً لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ نَجَّيْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝
 إِلَّا يَعْجُزُوا فِي الْغَدَرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ۝ وَإِنَّكَ
 لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُّضِيِّعِينَ ۝ وَبِالْيَمِيلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝

معاني الكلمات والجمل :

العامرين	: المالكين الباقين في العذاب.
دمارنا	: أهلكنا.
الآخرين	: الذين لم يستجيبوا للدعوة لوط عليه السلام
مضيءين	: في أثناء الهمار.

الشرح

لوط . . . وقومه :

شاعت في قرية من القرى في إحدى المناطق فاختة لم يسبق الناس إليها ولم تعرفها الحياة قبل هؤلاء.

هذه الفاختة هي إيجاد الرجال من دون النساء ، فقد جعل الله أساس قيام الحياة وعمرتها ، بالترويج بين الذكر والأنثى . فبدل هؤلاء وغيرهم واستحدثوا تلك العلاقة السببية بين الرجل والرجل ، فاختة قال الله فيها سجلا عليهم هذا الإنم الذي ابتدعوه :

أَتَأْتُونَ النَّحِنَّةَ مَا سَبَقُكُمْ إِلَيْهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الظَّالِمِينَ ^(١)

ومن العجيب أنهم كانوا لا يستخفون من هذه الفاحشة ، وإنما يعلوّها ، ويشغلونا جهارا غير مستعفين منها ، وتحذّتون عنها في أدبيتهم ومجتمعاتهم بلا حياء ولا تخرج .

بعث الله فيهم «لوطاء» يكشف لهم فداحة الجرم الذي يقعون فيه ، وما يجره عليهم من مهانة تنزل بهم عن درجة الحيوان ، وتعملهم بغير حرج من مجال النظرية القوية التي هبأها الله لهم ، إلى ذلك الأسلوب المشوه الذي يجرّ إليهم - فرق ذلك - أحبّ الأمراض ، وأعظم الكوارث .

بعث الله فيهم لوطا ينهيهم إلى خطورة هذا السلوك ، وإلى ما يجررون إليه مجتمعهم من البلاء والرواء .. فأى كثير منهم أن يستجيب له ، وكان من بين من يساند هؤلاء الصالحين ، ويرضى عن فعلهم امرأة لوط ..

فتحي الله لوطا ومن استجاب له ، حيث أمرهم برزق القرية والابتعاد عنها وما كاد يتم ذلك حتى دمر الله هذه القرية ، وأباد كل من فيها ، وجعل ما علا منها ساقلا ، وأمطرها وأبلا من الحجارة الحارقة .

**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَاهَا وَامْطَرْنَا عَلَيْهَا
جَارَةً مِنْ رَجَلٍ مَنْضُورٍ** ^(٢) **مَسَوَّمَةً عِنْدَ رِيْتَكَ وَمَا
هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يَبْعِيدُ** ^(٣)

(١) سورة الأعراف : ٨٠ .

(٢) سورة هود : ٨٣ ، ٨٤ .

والقرية التي كان يقطنها قوم لوط هي قرية «سدُوم» وكانت تقع في الطريق إلى الشام ... يربها أهل مكة في نجاحتهم حين يذهبون إلى الشام أو يعودون في أوقات الليل والنهار فنفهم الآيات إلى عاقبة بعض من كذب رسle ، ولم يستحب همدي الله ونبيهم كذلك إلى الاعتراض عن يرون على ديارهم التي تشهد آثارها بما حدث لأصحابها من إهلاك وإيادة ، نتيجة ارتکاب ما نهى الله عنه ، والخروج على سلامة القطرة ، وعلى الصراط المستقيم .

والعاقل من نفعه الاعتراض بغية ، وأعانه التدبر على سلامة السلوك والاستقامة على المهدى في الأقوال والأعمال .

ولا بد أن يكون معلوماً لدينا أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بما فيه الخير والمنع للإنسان والبشرية ولا ينهى إلا عما فيه ضررها .

ولقد أثبتت الأيام أن ما نهى الله عنه قوم لوط من فاحشة أهلكوا بها ، إنما نهياً عنها لأنها كانت سبباً حقيقياً في إهلاكهم وندمهم ...
وآية ذلك ما نقرأ عنه اليوم ونسع عن مرض «الإيدز» الذي يقف الطب عاجزاً عن مواجهته ، والذي أصبح لا يصيب أحداً إلا فضي عليه ...
ولقد أجمع العلماء على أن السبب الأساسي لهذا المرض إنما هو اقتراف تلك الفاحشة .

* * *

١٠

الآيات من ١٤٨ - ١٣٩ من سورة «الصافات»

وَإِنْ يُؤْسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ⑯ إِذْ أَبْنَ إِلَى الْفَلْكِ
 الْمَشْرُونِ ⑰ فَأَمَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدَحَّضِينَ ⑱
 فَأَنْتَقَمَهُ الْخُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ⑲ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
 الْمُسَيْحِينَ ⑳ لَلَّيْثَ فِي بَطْنِهِ إِنْ يَرَمْ يُعْتَنُونَ
 * فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَيْمٌ ㉑ وَابْنَتَنَا عَلَيْهِ خَبْرَةٌ
 مِنْ يَقْطَنِينَ ㉒ وَأَرْسَلَنَهُ إِلَى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَرِيدُونَ ㉓
 فَامْتَنَأْ فَتَعْنَتُهُمْ إِلَى حِينٍ ㉔

معاني الكلمات والجمل :

أَبْنَ	: غُرْ وَهُرب .
الْفَلْكُ الْمَشْرُونُ	: السُّفْيَةُ الْمَلْوَدةُ .
فَأَمَمَ	: دَخَلَ مَعَ أَهْلِ السُّفْيَةِ فِي قُرْعَةِ .
الْمُدَحَّضِينَ	: الْمَلْوَدِينُ فِي الْقُرْعَةِ .
فَأَنْتَقَمَهُ	: فَأَنْتَصَرَهُ .
مُلِيمٌ	: فَاعْلَمَ مَا يَلَمُ عَلَيْهِ .
الْمُسَيْحِينَ	: الْمَالِكِينُ الْمَالِكِينُ اللَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَجِينَ .

البيت	: لبى .
يوم يمدون	: يوم القيمة .
فليذناء بالمراء	: طرحة بالأرض الخلاة التي لا يكسوها شيء .
سقير	: عليل مرض .
شجرة من يقطعن	: شجرة القرع الطلبة .
فستانهم إلى جهن	: أثيابهم يستمدون بالحياة لوقت اقضائهم أجلهم .

الشرح

تونس . . . وقومه :

فيما مر قبل ذلك من قصص للرسل والأباء مع أقوامهم تبين لنا عاقبة من آمن برسوله فصدق وأطاع واتبع ، كما تبنت عاقبة العصاة الكاذبين ، الماودين لرسلهم الخارجين على طاعة الله سبحانه .
ويونس عليه السلام رسول أرسله الله إلى أهل «يتني» فكذبه .. ولم يؤمنوا به ولم يتبعوا هدى الله الذي بعث به إليهم ..

وكان يونس يتحجّل هدايتهم ، فلما رأى تكذيبهم له توعدهم بعذاب يحفل بهم ،
وغضّب منهم ، وتركهم وخرج مهاجراً من بلدتهم من غير أن يأذن الله لهم في ذلك ..
وسارع إلى البحر ، فوجد سفينة مملوكة بالمسافرين ، فاندنس بينهم .. وعندما تحركت
السفينة إلى وسط البحر ، صادفتها ريح عاصفة ، وأنواراً شديدة .. فأعادت تحيل
يراكيتها إليها وشلّا ، حتى كادت تغرق بهم ، و بذلك لكتبتهم على السفينة ، وتقلّهم
عليها .. فارادوا أن يخنقوا حموتها ، واتفقوا على أن يحرروا القرعة فيها بيدهم ، فلن
خرجت عليه القرعة التي ي نفسه في النسم .. فكان يونس من خرجت عليه القرعة ،
فالتي ي نفسه في الماء ..

وما كاد يصل ذلك حتى ابتلعه حوت كبير ..

فلا صار في يطن الحوت أدرك خطأه ، وعلم أنه أذنب حين خرج من عند قومه
قبل أن يأذن الله له ، وكان يتصور أن الله لن يعاقبه على هذا الفعل ، وذلك لبسرين :

أولها : أنه عرج خاصباً من قومه ، حين لم يؤمنوا بما أرسل به .. فظن أن خروجه
له .. وثانيها : أنه كان من المقربين ، السبحين له بالليل والنهار ، فحمله الحرف
الشديد وأرهقت الظلمة التي تحيط به من كل ناحية .. فاتجه إلى ربه - كما كان يتجه
إليه دائماً :

**فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾**

فاستجاب الله لدعائه ، وعجل إنقاذه ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى :

فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَيَّتْهُ مِنَ الْقَمَرِ وَكَذَلِكَ تُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

استجاب الله دعاء يونس ، لأنَّه من عباده المخلصين ، ولو لا أنه كان يلتزم طاعة
الله في كل وقت ، ولا يفتر لسانه ولا عليه عن ذكر الله وتسبيحه ، وكذلك احتداره
عن خطنه وندمه عليه ، وتوبيه منه . - لو لا ذلك - لكان بطن الحوت قبراً له فلا
يخرج منه حياً حتى يوم القيمة .

وكانت استجابة الله لدعائه بأن جعل الحوت يطرحه ، ويعرجه من جوفه ، إلى
ساحلٍ خاليٍ ليس فيه شجر ولا ظل ، ولقد خرج مربضاً يسبب ما عاناه داخلَ بطن
الحوت من ضيقٍ وخوفٍ واحتناق . فكان لا يقوى على الحركة ، وكانت حرارة
الشمس الشديدة تؤديه ، فأثبت الله عليه شجرةٍ قرع عرضة الأوراق ، تظلله وتحمي
من حر الشمس .

فلا يملك نفسه ، وذهبت عنه علته ، وقوى على المسير ، أرسله الله إلى قومه
وكانوا قد ندموا على ما قابلوه به من تكذيب ، لما كادوا يرونوه ، ويستمعون إليه -
وكان عددهم مائة ألف أو يزيد - حتى آمنوا به جميعاً ..
فتعهم الله بخيالهم ، وعاشوا سعداء راضين حتى انتهت آجالهم .

(١) سورة الأنبياء : ٨٧ . (٢) سورة الأنبياء : ٨٨ .

هذا ولاحظ في قصة يوئيل مع قومه .. أنه حين تدخل هداية قومه .. ولم يصر على تكذيبهم .. وخرج غاضبا منهم من غير أن يأذن الله له .. حوسب على ذلك وعقوبة بالمقابلة في اليوم أولا .. وبابتلاغ الحوت له ثانيا .. وحين ندم وتاب تاب الله عليه ..

وفي هذا طحانة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لا يتعمّل إليان قومه ولا يضيق بتكذيبهم ، وأن صبره على ذلك يتأله من رزانه رضوان الله وتأييده . ولقد كان غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوقات يضيق فيها صدره بتكذيب قومه له ، وعدم إيمانهم بما جاءهم به من النور والهدى .

«فَلَعْلَكَ بَدْخُعْ نَفْسَكَ عَلَيَّ إِذْرِهِمْ إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَذَا
الْحَدِيثِ أَسْفًا»^(١)

فجاءت قصة يوئيل ثانية له - صلى الله عليه وسلم - . وتخفيها عنه .
ونلاحظ - كذلك - أن قوم يوئيل آمنوا جميعا . وأن رضوان الله شملهم في
حياتهم وأخاططهم ، حتى انقضت آجالهم ..
وفي هذا تنبئه لمن يدعوههم الرسول - صلى الله عليه وسلم - (وهم أهل مكة) أن
أهل الطاعة والإيمان .. يغوطهم الأمان والأمان .. وتشملهم حماية الله ورعايته مدة
حياتهم .. هذا إلى جانب ما يدخله الله لهم من نعيم في الآخرة .

* * *

(١) سورة الكهف : ٦

فَاسْتَفِيهِمُ الْرَّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَمْ يَأْتُ الْبَنُونَ ⑯٣
 أَمْ خَلَقْنَا
 الْمَلَائِكَةَ إِنْ شَاءُوهُمْ شَهِيدُونَ ⑯٤
 أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْ كِيمْ
 لَيَقُولُونَ ⑯٥ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِيبُونَ ⑯٦ أَصْطَفَنَا الْبَنَاتِ
 عَلَى الْبَنِينَ ⑯٧ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ⑯٨ أَفَلَا نَذَرُونَ ⑯٩
 أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مِنْ ⑯١٠ فَأَتُوا إِنْ كِيمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑯١١
 وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُنَّةِ نَسَابًا وَلَقَدْ عَلِيتِ الْمُنَّةُ لَهُمْ
 لَمُحَضَّرُونَ ⑯١٢ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ⑯١٣ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
 الْمُخْلِصِينَ ⑯١٤ فَإِنْ كُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ⑯١٥ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
 يَغْتَثِينَ ⑯١٦ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِبُ الْجَحِيمِ ⑯١٧ وَمَا مِنَ إِلَّا
 لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ⑯١٨ وَإِنَّا نَسْخُ الصَّافَوْنَ ⑯١٩ وَإِنَّا نَسْخُ
الْمُسَخِّوْنَ ⑯٢٠

معاني الكلمات والجمل :

- حاضرون ناظرون .

- شاهدون .

- كذبهم القبح .

إن كيم .

أُنْطَقَ

هل أخْتَارَ ؟
ما لكم كيف تحكُون ؟
أفلا تذكرون
أفلا تعقلون خطأ ما تعتقدونه ؟
سلطان مبين
دليل واضح ، وبرهان قوي .
جعلوا بينه وبين الجنة تَسْبِيَا : أذْعُوا أنَّ اللَّهَ صَاهِرَ الْجَنَّةَ فَرَدُوا لِلملائكة .
يغاتين
بِعَصْلَنِ .
صالِحُ الْجَنَّمِ
 داخل النار مقام حرها .
مَقْعَدٌ مَعْلُومٌ
مرتبة ومتزلة عديدة .
عن الصَّافَّوْنَ
لِكُونِ صَفَّرًا فِي العبادة .
الْمُسْتَبْعُونَ
الذاكرون الله بالصلوة واللسان .

الشرح

مزاعم المشركين :

١ - جادل المشركون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حالاً طويلاً ، وحاولوا أن يثبتو من المشكلات والقضايا ما ينكرون به صدق الدعوة إلى الله ، ونشوره ما يدعوه الرسول إليه ..
ولقد وجه الله سبحانه وتعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - ليوضح باطلهم ويرد افتراءهم .

ولقد جاء في بدايات هذه السورة طلب استفتائهم عندما تأبوا على الإيمان
عذرا لهم من عاقبة هذا المnad ، وذلك التكذيب . في قوله تعالى :
« فَاسْتَشْفِهُمْ أَهْمَّ أَنْشَدَ خَلْقَ أُمَّنْ حَلَقْنَا » الآيات .
وطلب من الرسول - صلى الله عليه وسلم - هنا - أيضاً - مناشتهم ،
والإنكار عليهم ، في دعواهم التي ينسرون فيها الملائكة إلى الله ، مُذَعِّنِينَ أنها بنيات له .
فيقول سبحانه وتعالى مستكراً بذلك منهم : هل أخْتَارُهم الله بالبين ورضي
هو بالبيان ؟ ومن أين جاؤوا بهذا التقسيم ؟ ولماذا يدَعُونَ أنَّ الملائكة
إناث ؟ وأنَّ الله حلَقَهم هكذا ؟ ...

هل أعلمهم أحد بذلك ؟ أم شهدوا ولادتهم فعرفوا أن الملائكة إناث ؟
تقىد الآيات كذب هؤلاء المشركين ، واقتراهم على الله ما لا يعلمون .

فيسيرون له الولد والزوجة !! وهو سبحانه - واحد أحد ، فرد صمد لم يلد

ولم يولد .. ظللت له زوجة ولا ولد .

ثم شفط الآيات أقوالهم التي يزعمونها ، ويسيرونها إلى الحق سبحانه
وتعالى .. من أنه ينذر البنات على البنين .. فمن أدراهم بذلك ؟! ومن أعلمهم
به ؟! .

هل لديهم علم لا يعلمه سواهم ؟ أو قوة وسلطان تعرفهم وتتخيم على ما
يقولون ؟ أم لديهم برهان واضح ، وكتاب يأخذون منه ، ويقولون ما فيه ؟!

فاطلب إليهم - يا محمد - إن كانوا صادقين أن يقدموا دليلاً ما يقولون ..

وما هم بصادقين .. ولن يأتوك بشيء ! لأن ما يقولونه كذب وبهتان ، ولا
يقول به عاقل .

٢ - وكان مما زعموا أن الله زوجة من الجنة - سُمِّوا بذلك لاجتثتهم أي
استارهم عن العيون - .

وكانت تلك الزوجة صاحبة ولدت له الملائكة - سبحانه عما يقولون ،
وتبرأ عما يزعمون - قال تعالى على لسان الجن المؤمنين :

وَإِنَّ رَبَّنَا مَا أَخْتَدَ صَنْجَةً وَلَا لَدَّا (١)

والملائكة عباد الله المكرمون ، خلقهم عباداً مكرمين ، لا يعصون الله ما أمرهم
ويفعلون ما يؤمرون .

والملائكة تعلم على اليقين أن الذين يدعون على الله ما يدعون سوف
يعذبون يوم القيمة أدلة مخلدون ، يحاسبون على كذبهم ، ويفترون جراء لهم
في نار الجحيم .

(١) سورة الجن : ٣ .

أما عباد الله الخالصون الذين زرعوه عها لا يلبي به فما كان يمكن أن يقع منهم ما وقع من هؤلاء المفسدين ، كما أحسروا الطاعة لله ، وأخلصوا العبادة له فهم بمنأى عن هذا العذاب ، وهذا المصير .

٣ - ولقد كان مما يسعى إليه المغفلون أن يتآثر بقولهم وباطلهم العيادُ الخالصون ، وأن يضطجع لهم كما ضلوا ... فيبعدوا آثريهم ومعبوداتهم .. ولكن الملائكة تزعمهم وتوضح لهم أنهم لا يستطيعون التأثير إلا على صفاتهم النفوس ، من استحده عليهم الشيطان ، وملكتهم الأهواء والشهوات ، ونباتات لاستفهام في الآخرة تيران الجحيم .

٤ - ثم بين الملائكة بعد ذلك مكانها ومقامها ، الذي تعرف حدوده فلا تتجاوزه ، وأن لكل منها وظيفة محددة يؤديها طائعاً كما أمر بها ، وأنهم جنباً بصفتهم لعبادة الله سبحانه وتعالى ، وأنهم المسجونون بعلمة الله تعالى لا يتعلّق تسريحهم ولا يفتر .

وهم بذلك يبيّنون خصوصهم الكامل لأوامر الله سبحانه ، ودوماً تزدهم له تعالى عها لا يلبي به ، وأنهم عباد الله المكرمون ، وليسوا كما يقول فيهم هؤلاء الكفار والمشركون .

وَإِن كَانُوا لِيَقُولُونَ^{١٦٧} لَوْأَنْ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ^{١٦٨}
 لَكُنَّا عَبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^{١٦٩} فَكَفَرُوا بِهِ فَسُوفَ
 يَعْلَمُونَ^{١٧٠} وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِلَّتَنَا عِبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ^{١٧١}
 أَنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ^{١٧٢} وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَلَبُونَ^{١٧٣}
 فَنَوَّلُ عَنْهُمْ حَتَّىٰ جِنَّ^{١٧٤} وَأَبْصِرُهُمْ فَسُوفَ يُبَصِّرُونَ^{١٧٥}
 أَفَيَعْدَانَا يَسْتَعِجِلُونَ^{١٧٦} فَإِذَا نَزَّلْ إِسَاحَتِيمْ فَسَاءَ
 صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ^{١٧٧} وَنَوَّلْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ جِنَّ^{١٧٨}
 وَأَبْصِرْ فَسُوفَ يُبَصِّرُونَ^{١٧٩} سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ
 عَمَّا يَصِفُونَ^{١٨٠} وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ^{١٨١} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ^{١٨٢}

معاني الكلمات والجمل:

- ذكرنا من الأولين : كتاباً من كتب الأولين كالتوراة والإنجيل.
- كلمنا : وعدنا بالنصر والظفر.
- جندنا : الرسل وأتباعهم من المؤمنين.
- فنول عنهم : أعرضوا عليهم.
- وأبصرهم : انظر إليهم.

نزل بساحتهم : حل بفناء بيوتهم ، والمراد : حل بهم ،
 فناء صباح المُنذرين : ينس ما يلاقيه الكفار في يده ثمارهم ،
 سبحان ربك رب العزة مما يصفون : تعالى وتره عن كل ما يفتنه الكاذبون فهو سبحانه
 رب القوة والقلة .
 سلام على المرسلين : آمان الله لرسله من كل مكره .

الشرح

كفر . . . ووعيد . . .

كان كفار قريش إذا غيروا بالجهل وعبادة الأصنام يقولون : لو أن عندنا كتاباً
 من كتب السماء التي ترلت على أهل البيانات السابقة التي يرون أصحابها بينهم ،
 ويخلطون بهم ، من اليهود والمصارى . . .
 وكانت يزيدون أن يكون الكتاب الذي ينتهي خاصاً بهم ، وناظماً بلغتهم . . .
 كانوا يقولون لو أن لنا كتاباً على هذا النحو لأننا به وكنا عباد الله الذين يخلصون له
 الطاعة ، ويلزمون بكل ما يأمرهم به في هذا الكتاب ، ويتخلصون عن كل ما ينهاهم عنه .
 فأرسل الله فيهم رسولاً منهم ، وأنزل عليه القرآن كتاباً عربياً لا يأبهه الباطل من
 بين يديه ولا من خلفه . . . فكثروا بالرسول ، ولم يؤمنوا بالقرآن !!
 فسوف يلاقون عاقبة كفرهم ، ويتلون جراء نعمتهم في نقل الحق ، هوانا في
 الدنيا ، وعذاباً يوم القيمة .

ثبتت . . . وتأييد . . .

* بعد كل الذي لاقاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيذاء والتكميل ،
 والعناid والمكاراة . . . أراد الله سبحانه وتعالى أن يُطمئنَّه ، وبيَّنَ فواده . . .
 فعرضَ عليه ما لاقاه رسول الله السابقون من قومهم ، وكيف كانت عاقبة المكابر
 والمؤمنين . وذلك ليواصل دعوه مطمئناً لتأييد الله وعزته ، وأنه سبحانه لا يضع
 رسلاً . . .

فقد سبق وعده لعبادة المرسلين بالتأييد والنصر ، وأن أهل الإيمان من الرسل
 وأتباعهم هم الغالبون الفائزون في الدنيا والآخرة . ويدعو الرسول - صلى الله عليه
 وسلم - بعد أن عرض عليه كل ما نقدم إلى أن يعرض عن أهل الكفر والضلال ،
 وألا يدخل معهم في عدالاتهم الباطلة ، وأن يتظر بعض الوقت ، ويراقبهم وينظر

أحواهم ، وسوف يجد ما يسعده من تزايده المسلمين من حوله ، وتماسكهم وتزايد قوتهم . كما سيرى هوانَ المشركين وضعفهم وتفرقهم ، وخيبة أملهم في القضاء عليه ، والانتصار على المسلمين .

* وإذا كان هؤلاء الكفار يستمحلون بغير العذاب الذي تهددهم به - يا محمد - إنهم يقروا على كفرهم ، ساخرين مما يقولون ومستربين به - فإن العذاب قرب منهم ، وإذا حل بهم ، وأحاط بيبرتهم فسيعرفون أسوأ الأوقات كلها حل بهم العذاب فصباحهم بش الصباح ، ونهارهم بش النهار ، وأوقاتهم كلها جهنة ، ودلة وانكسار . ويدعو الله الرسول - صل الله عليه وسلم - إلى التصبر والتربّع والانتظار ، فالنصر آتٍ لا شك فيه ، له ولمن اتبعه ، والفرزية والإبادة لاحقة بأعدائه من المشركين والكافرين .

* ثم يهدي الله نبيه وأهل الإيمان معه ، إلى أن يلزموا ما هم عليه من تسبيح لله ، والثناء عليه ، وتنزيهه - سبحانه - عن كل ما لا يليق به ، لأن العزيز القاهر الغالب ، الواحد الأحد ، الذي لا شريك له في الملك ، ولم يتخذ ولدا ، وخلق كل شيء قادرًا تقديرًا .

ويشره - سبحانه وتعالى - بأن رسنه - وهو منهم - هم الأمان من الله في الدنيا ، ويوم تقوم الساعة .

فالحمد لله على نعمه التي لا تمحى ، وهو رب الخلق كله ، ومالك أمره ، ولقد كان الرسول - صل الله عليه وسلم - إذا كان في مجلسه وقام منه ، ثلا قوله تعالى :

«سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٧﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾

عن علي - رضي الله عنه - قال :

«من أحب أن يكتال بالملك والألوى يوم القيمة فليكتل آخر كلامه قبل أن يغدو من مجلسه

«سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٧﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾

سُورَةٌ مَكْيَّةٌ
وَآيَاتٍ ثَمَانِيَّةٍ وَثَيَّانُونَ
نَزَّلَتْ بَعْدَ الْقَمَرِ

سورة : « ص »

في بيان مُشرق ، وعرض شَيْءٍ مُفْرِد ، وأسلوب لا يُدَانِي ، تبدأ السورة
صورة الدعنة التي لحقت المشركين حين دعاهم رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إلى الوحدانية ، وترك عبادة الأسماء ، ونعلم أن السورة مكية لأنها تتاول العقبة
ببساط والعرض والتثبيت شأن كل السور المكية ، كما تأولت تمامًا أهل الشرك
بعضهم مع بعض التهادي في ضلالهم ، والآيات على معاندة الهدى صفا لا يقبل
الاهتداء ، ولا يسمح بانتشار النور الذي يغصي على طلبات الجיהزة والغواية والكفر .
وعرضت السورة المكذبين لرسلهم ، وكيف أن يقدروا على إيقاف مد
الإصلاح ، وانتشار الفلاح والخير ، بل لا فرق جزاء كفرهم وصدتهم ومعاندهم ،
وانتشر الحق وعلت رايته ، وألى نور الله إلا أن يظهر ولو كره الكافرون .
ونعرض السورة صوراً ومقابلات حية بعض آباء الله ورسله عليهم السلام ،
وفضلاً مرت بهم أو عاشوا فيها وما أعد الله لهم ، وعاقبة من آمنوا بهم ، وصدقوا
ما جاؤهم به ، تذكيراً لأبناء رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بإن إخلاصهم لا
يُصْبِحُ ، وحراء أعدائهم لا يذهب وإنما يدخله الله للصالحين ، وتتها المكذبين حتى
لا يحيط بهم ما حاقد بأهل التكذيب السابقين ، وتسلية - فوق ذلك كله - لرسول
الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإعلاماً له بمحنة الله له ، واحتياجه له ، وإطلاعه على
رسوان الله الذي سيلقاه عنده في رحاب الجنات .
وعرضت السورة غافر لما يصادمه أهل الطاعة من النعم ، وأهل المصيبة من
العذاب .
كما عرضت لأشخاص الملايين عند بدء الخلق ، وما كان من شأن إبلس من
معصيته الله ، وكيف لم ي آدم ، وكيف أنه لا سلطان له إلا على ضعاف النفوس ، وأن
عقاب الله له ولأبناءه هو أشد عقاب .
وتعلن السورة - في حائنتها - أن تبليغ الرسالة إنما هو لصالح الناس وخيرهم ،
 وأن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - إنما يحمل في سبيل أداء الرسالة ما
يتحمل حباً للناس وإشراقاً عليهم ورحمة بهم ، لا يطلب على ذلك أجراً ، ولا يتضر
شكراً ، وسيعلم الجميع ذلك يوم تكشف الأمور أمام الخلق .. يوم الحشر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صٌّ وَالْقُرْءَانِ ذِي الْذِكْرِ ① بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ
 وَشَفَاقٍ ② كَذَّ أَهْلَكَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا
 وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ③ وَعَجِزُوا أَنْ جَاءُهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ
 وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ④ أَجْعَلَ اللَّهُ
 إِلَهًا وَإِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ بُعْدَابٌ ⑤ وَأَنْطَلَقَ الْمُلَأُ
 مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰهِ الْمُنْكَرٌ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
 يُرَادٌ ⑥ مَا سَمِعْنَا يَهْذَا فِي الْأَيْمَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا
 أَنْخِلَقَ ⑦ أَهْنَزَلَ عَلَيْهِ الْذِكْرُ مِنْ بَيْنَتَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍ
 مِنْ ذَكْرِي ⑧ بَلْ لَمَّا يَدُوْقُوا عَذَابٌ ⑨ أَمْ عِنْدُهُمْ نِزَارٌ
 رَحْمَةٌ رِبِّكَ الْعَزِيزُ الْوَهَابٌ ⑩ أَمْ هُمْ مُلْكُ الْمُمْنَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا فَلَئِنْ تَقُوْفُ الْأَسْبَابِ ⑪
 جُندٌ مَاهِلَّكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ⑫

معنى الكلمات والجمل

- صـ : حرف من حروف المجاهـ بـدأـت به السورة، كما
بـدأـت سورـ أخرى بـحرف أو أكثر من حروف
المجاهـ العربية.
- ذـي الذـكر : صاحـب الشـرف الرـفيع وـالبيان لـما يـحتاج إـلـيه في
الـدين .
- قـرن : في نـكـر عن الحقـ، وعدـوة اللهـ وـرسـولـهـ .
- قـرن : أـمسـة .
- ولـات حينـ مـناصـ : لـمـ الـوقـت وقتـ هـرـوبـ وـنـجاـةـ .
- منـقـرـ منـهـ : رـسـولـ مـنـ يـنـهـ عـنـوـفـ لـهـ .
- إـنـ هـذـا لـنـيـ عـجـابـ : إـنـ مـا يـقـولـهـ مـحـمـدـ عـجـبـ أـشـدـ المـجـبـ .
- الـمـلـأـ مـنـهـ : أـشـرـاقـهـ وـمـادـتـهـ .
- امـشـوا وـاصـبـواـ عـلـىـ آخـركـمـ : سـرـواـ عـلـىـ طـرـيقـكـمـ وـدـبـيـكـمـ ، وـاتـبـواـ عـلـىـ عـيـادـنـكـمـ لـآخـركـمـ .
- لـشـيءـ يـرـادـ : لـشـيءـ يـدـيرـهـ مـحـمـدـ يـقـصـدـ السـيـادةـ عـلـيـاـ .
- فيـ اللـهـ الـآخـرـةـ : دـيـانـةـ غـيرـ الـسـلـمـينـ .
- اخـلاقـ : اـقـراءـ وـكـذـبـ .
- بلـ هـمـ فـيـ شـكـ مـنـ ذـكـريـ : هـؤـلـاءـ يـسـتـعـدـونـ إـنـزـالـ الـقـرـآنـ عـلـىـ مـحـمـدـ .
- ظـلـيرـقـواـ فـيـ الأـسـابـ : ظـلـيرـكـيـاـ كـلـ ماـ يـعـكـنـ أـنـ يـصـعـدـ بـهـمـ إـلـىـ السـماءـ .
- جـندـ مـاـ هـنـاكـ مـهـزـومـ مـنـ : الجـنـودـ الـتـجـمـعـونـ مـنـ الـكـفـارـ سـتـلـحـقـهـمـ الـفـرـقةـ .
- الأـحـرـابـ :

الـشـرـحـ

غـنـادـ وـنـكـذـبـ :

بـدـأـتـ السـورـ بـحـرـفـ منـ حـرـوفـ المـجـاهـ .. وـمـا قـيلـ فـيـ تـفسـيرـ الـحـرـوفـ الـتـيـ
وـرـدـتـ فـيـ لـوـاـلـ السـورـ : أـنـ اللـهـ يـعـلـمـ النـاسـ أـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـمـ مـرـكـبـ مـنـ حـرـوفـ

هي التي يتكلمون بها ، وهم في ذلك لا يقدرون على حاكماته أو الإيمان بمنتهه وهذا أبلغ دليل على أن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى .. وهناك آفواه أخرى كثيرة للعلماء أفرتها إلى القبول : أنها من أسرار القرآن الكريم مما استأثر الله به .. يقسم الله بعد ذلك بالقرآن الكريم تسبباً على علو قدره ، وشرف منزلته وأن فيه بيان ما يحتاج إليه الناس في معيشتهم وحياتهم ، مما يهدفهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأنه تربيل من الله سبحانه وتعالى ، وأنه محدداً - صلى الله عليه وسلم - صادق في أنه رسول من رب العالمين . ولكن أهل مكة الذين يصرخون عن هدي الله وطاعة ، ينكرون عن الإذعان للحق ، وينجذبون بالباطل في رفضهم للإيمان ومحاربتهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين .

وأن هؤلاء الكفار المكذبين إن يمحضنا إهلاكاً لهم ، إذا أصرروا على العداء والكفر ، فكم من أم ساقطة عليهم ، جاءتهم رسالهم بالهدى والحق ، فانصرفوا عنها وقاوموهم عداوة ونكاية ، فأهلكناهم .. وحين نادي بعضهم بعضاً للهروب والفرار والنجاة من العذاب .. لم يجدوا وسيلة إلى ذلك ولم ينفعهم الهرب ، ولم يجدوا ملجاً ولا نجاة .

إن كفار مكة حين جاءهم هدي الله ، ليحرجهم من الظلمات إلى التور ، علىكم العجب ، وأخذتموه الدهشة .. فهم يجدون أصناماً متعددة من دون الله ويتحدونها الله ، يعظموها ويسجلون لها ، وينصرون لأوامر الكهنة القاتلين عليها ثم يعنون رجل منهم يقول : إنه رسول الله إليهم ، يدعوهم إلى عادة إله واحد وطاعة والخنسع لأوامره وترك عادة الآباء والأجداد !

ولقد سارعوا إلى عدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، يشكرون إليه ما يدعونهم إليه ابن أخيه .. فواجههم - ﴿لَا يَأْتِيَنَا بِآيَاتِنَا﴾ . بأنه يأخذ بأيديهم إلى ما يجعل الجميع خاضعين لهم .. يدعوهم إلى كلمة يملكون بها العجم والعرب .. وهي كلمة : لا إله إلا الله .. ولكنهم يصرخون عنه .. وهم يرددون في دهشة :

(أجعل الآلة لما واحداً) إن هذا لأمر محير ، متى لأشد العجب وباعت على الدهشة والذهول ..

ولقد كانوا من قيل ذلك يرون ويشاهدون ما يجري على بد الرسول - صل الله عليه وسلم - من الأمور الخارجة عن قدرة البشر، والتي يعجز أي إنسان منهم أن يأتي ببنائها ولكنهم لعنةهم وكفرهم ، وإغلاق قلوبهم عن تلقى الحق والإيمان به .. كانوا يرمونه بالسحر، ويصفونه بالكذب.. وعاصم أولاده يضيغون إلى ذلك الدعثة والإنكار .

كيد . . . وهزيمة :

دعا رسول الله - صل الله عليه وسلم - إلى الإيمان بالله وحده ، وطاعته في كل أمر ونهي . ولكن السادة والكتاب وفروا في وجهه ، وحاولوا بوسائل شتى صرفه عن دعوته ، ومقاومته في هداية الناس إلى طريق الحق ..

وكانتوا يسارعون إلى تحجيمات الناس ، أو يحاولون تحييجهم ثم يدعونهم إلى التمسك بعقائدهم ، والتبتّل عن دينهم ، والانصراف عن طاعة محمد - صل الله عليه وسلم - ودعونه ، والتمسك بالألفة وعبادتها ، والتحذر من أن محمداً - صل الله عليه وسلم - إنما يريد بما يدعوه إليه ، أن يسط عليهم سلطاته وأن يتحكم فيهم ، وأن يسيطر على شئونهم ، فيتصرف فيهم على هواه ..
.. وأنه لا يقصد بما يدعوه إليه إلا أن يكون سيداً لهم ، وملكاً عليهم ، وأن يكونوا له عبيداً وأتباعاً .

وكانتوا يقولون : إن الوحدانية - التي يدعو إليها محمد - جديدة على حياتنا . ما سمعوا بها من أحد من قبل ، وأن أصحاب البيانات التي يمروونها ويخاطرون بأصحابها لا توجد عندهم مثل هذه الدعوة ، ولو كان محمد صادقاً فيما يقول لوجدنا لدعونه تلك ما يقالها عند أصحاب هذه البيانات ..
فلا شك أنها من اختراعه وابتداعه .

ولكنهم اخبطهم وضلّلهم لا يقفون عند هذا الحد بل يظہر في كلامهم ما يدل على الحقد والبغية ، والغيرة والحسد . حيث يستنكرون أن يختار الله هديه ولرسالته أحداً غيرهم ، وهم أصحاب السادة والرياسة ، وأكبر من محمد - صل الله عليه وسلم - سا ، وأكثر منه مالاً ، وأعلى منزلة في قومهم .

فهـم منصروفون عن القرآن الـكـرـيم ، وعـما جاءـ فـيـهـ منـ الـهـدـىـ وـالـحـقـ ، وـلـقـ جـرأـهـ .
عـلـىـ هـذـاـ التـكـذـبـ ، وـذـلـكـ الشـكـ إـمـهـاـنـ اللهـ لـهـ ، وـتـأـجـيـرـهـ إـيقـاعـ العـدـابـ بـهـ .
لـوـ أـعـمـلـ هـؤـلـاءـ الـكـفـارـ عـقـولـهـمـ لـعـرـفـواـ أـنـ مـاجـاهـهـمـ بـهـ مـحـمـدـ .ـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمـ .ـ إـنـاـ هـوـ الـحـقـ وـالـصـدـقـ ، وـأـنـ يـصـلـحـ جـاتـهمـ ، وـيـعـطـيـ شـائـهمـ .ـ وـيرـفعـ
قـدرـهـمـ ، وـيـشـتـىـ معـ الـعـقـلـ وـالـحـكـمـ ..ـ وـأـنـ اللـهـ سـبـاحـهـ وـتـعـالـىـ يـفـعـلـ مـاـ يـشـاءـ ،
وـمـخـاتـرـ مـنـ يـرـيدـ تـحـمـيلـ الرـسـالـةـ ، وـأـنـ أـمـرـ اللـهـ سـبـاحـهـ وـتـعـالـىـ يـدـهـ ، وـأـنـ خـرـائـهـ جـلـ
وـعـلاـ مـلـوـكـهـ لـهـ ، وـأـنـ مـلـكـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ يـبـشـرـهـ إـنـاـ هـوـهـ العـزـرـ الـذـيـ لـاـ
يـطـلـ ، وـلـهـ الـجـوـادـ الـوـهـابـ الـذـيـ يـطـلـ بـلـ حـاسـبـ ، وـلـهـ الـذـيـ لـاـ يـقـدـرـهـ
عـنـهـ ، وـلـاـ يـتـهـيـ مـاـ فـيـ خـرـائـهـ ..ـ فـلـاـ يـعـلـمـ أـحـدـ أـنـ يـعـرـضـ عـلـ حـكـمـ اللـهـ وـتـقـدـيرـهـ .ـ
وـمـشـيـتـهـ وـإـرـادـهـ .

وـإـذـاـ كـانـ هـؤـلـاءـ كـذـلـكـ فـلـيـصـمـدـواـ إـلـىـ السـمـاءـ ، وـلـيـحـكـمـ كـمـاـ يـرـيدـونـ ، وـلـيـدـبـرـواـ
أـمـرـ الـعـالـمـ كـمـاـ يـشـتـهـونـ ..

ولـكـنـ !ـ أـيـنـ هـؤـلـاءـ مـنـ هـذـاـ كـلـهـ ؟ـ وـهـمـ خـلـقـ ضـعـيفـ مـنـ
خـلـقـ اللـهـ ..ـ غـابـ عـنـهـمـ الـهـدـىـ وـتـخـطـئـوـ فـيـ عـيـاتـهـمـ فـضـلـواـ الطـرـيقـ الـمـسـتـقـيمـ ، وـتـجـمـعـواـ
خـارـجـةـ الـهـدـىـ ، وـتـخـرـبـواـ لـقاـوـيـةـ الـحـقـ ..ـ فـلـاـ يـسـتـظـرـهـمـ ؟ـ إـنـ اللـهـ سـبـاحـهـ وـتـعـالـىـ يـطـمـنـ
رـسـوـلـ الـكـرـيمـ .ـ صـلـواتـ اللـهـ وـسـلـامـ عـلـيـهـ .ـ أـنـ دـارـ هـؤـلـاءـ مـقـطـعـ ، وـأـنـ مـصـرـهـمـ
لـلـفـرـيـدةـ الـيـ لـاـ تـقـومـ لـهـ بـعـدـهـ قـائـمـةـ .ـ وـقـدـ حـقـ اللـهـ لـرـسـوـلـهـ .ـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .ـ
ـ وـلـلـمـؤـمـينـ مـاـ وـعـدـهـمـ بـهـ فـاـتـصـرـوـ وـهـرـمـ الـأـحـرـابـ .

وـإـذـاـ كـانـ هـذـاـ مـعـرـضـ ، فـلـاـ بـدـ أـنـ تـكـوـنـ بـيـدـ خـرـائـهـ اللـهـ .ـ يـحـكـمـ كـمـاـ كـيـفـ
يـشـاءـ ، فـيـمـيـعـ الـبـوـةـ لـمـ يـرـيدـ ، وـيـعـتـهـاـ عـنـ يـشـاءـ ..ـ وـلـاـ بـدـ أـنـ يـكـوـنـ لـهـ مـلـكـ
الـسـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ فـيـهـاـ وـمـاـ يـبـشـرـهـ ، لـيـطـلـ مـنـ يـشـاءـ ، وـيـعـنـ مـنـ يـشـاءـ .

* * *

الآيات من ١٢ - ١٥ من سورة «ص» ٢

كَذَّبُواْهُمْ قَوْمٌ بُرُوجٌ وَنَادٌ وَفِرْعَوْنُ دُوَّاً لَوَنَادٍ ١٢
وَنَمُودٌ وَقَوْمٌ لُرِطٌ وَأَصْحَابُ نَعِيَّةٍ أَوْلَئِكَ الْأَحْرَابُ ١٣
إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ حَتَّىٰ عِقَابٍ ١٤ وَمَا يَنْظُرُ هَنُولَاءٌ
إِلَّا صَيْحَةٌ وَحِدَّةٌ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ١٥

معاني الكلمات والجمل :

ذو الأوناد	: صاحب الملك الثابت القوي .
أصحاب الأئكة	: أصحاب الشجر الكثيف المنتف بعضه على
بعض .	وهم قوم شعب .
فتح عقاب	: فوجب تعذيب أيامهم .
ما ينتظر	: لا ينتظرون .
مالها من فوراق	: مالها من إيقافه ولا توقف .

الشرح

عقاب عاجل :

بين الآيات أحوال الأمم السابقة عندما جاءتهم رسالاتهم بالغدر ودين الحق فكذبوا وعاندوا ، فحق عليهم عقاب الله . وبادرهم بعذاب لا ينفيون منه ، ولبس له نهاية .

ولقد فضل الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أحوال بعض الأمم مع آياتهم
فقد أرسل نوحًا إلى قومه ، يدعوهم إلى دين الله ، ويبلغهم رسالة ربه ، ويعاول
بشتى الوسائل أن يدخلهم إلى ساحة المدى ... ولكنهم يصررون ويسكتون ، ويأتون
إلا الصلال والكفر فيعمرهم الطوفان ، وبُلْكِمْهُمُ الْغَرْقُ .. وهو دليل أرسله الله إلى
قومه عاد قد دعاهم إلى دين الله ووحدانيته مما استجابوا له ، واستكروا فأرسل الله
 عليهم رحمة عاصفة أهلكتهم ، ودمروا كل شيء ..

ولم يكن حال موسى مع فرعون وقومه بأفضل من حال من سفوه من الأمم ،
إذ دعاه وقومه إلى الإيمان ، فكفروا ونحووا فاغرقو في اليم ، وهلكوا في أمم البحار .

ولقد كذبت نجود صالحًا ، وأتُوا كذلك أن يطبوه فيما دعاهم إليه ، كما عصى
قوم لوط رسالته ، وأصرروا على ارتكاب الفاحشة التي دعاهم إلى الإقلاع عنها .. فما
كانت نتيجة كفر هؤلاء وهؤلاء إلا الإهلاك والتدمير ، والعذاب الماحق الشديد ..
أما قوم شعب وهم أصحاب الأياكة ، فلم يستحبوا أيضًا هدى الله الذي
جاءهم به فأخذتهم عذاب شديد عظيم أهلكتهم وأيادهم ..
هؤلاء الأفواه جميعها كانوا رسالهم ، فحمل بهم عذاب الله ، وأحاط بهم عقابه
فلم يعصهم منه عاصم ، ولم يحيط بهم منه مدافع ..
 وإن المكذبين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليسوا بأحر من هؤلاء .. فإن
أصرروا على كفرهم ، ولم يرجعوا عن خالقهم ، فلا بد أن يجعل بهم ما حل بالمخذلين
من قبليهم .. فليحذرموا وليستروا ..
وفي الآيات إلى جانب الإنذار والتحذير طائفة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم
- أن دين الله عذاب ، وأنه ومن معه منصورون ، وأن المكذبين إن أصرروا على
عذابهم وكفرهم فإن صحة واحدة توقع بهم عذابا لا يفرون منه ، ولا يفتر عنهم ،
وابنوا بخلدون فيه بلا انتهاء .

وَقَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ لَنَا فِطْنَانَا قَبْلَ يَرْبُّ الْحَبَابِ ⑯ أَصْبَرْتَ عَلَى
مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْتَ عَبْدَنَا دَاؤِدَ دَالْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَابٌ ⑰ إِنَّا
حَنَّرْنَا الْجَبَالَ مَعْمُوسًا يُسَيْحَنَ بِالْعَشِينِ وَالْإِشْرَاقِ ⑱ وَالظَّرِيرَ
مَحْشُورَةً كُلُّهُ أَوَابٌ ⑲ وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ
الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْحَطَابِ ⑳ * وَهَلْ أَنْتَ نَبْشُرُ الْخَصِيمَ
إِذْ تَسْوُرُوا الْمِحْرَابَ ㉑ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاؤِدَ فَزَرَعَ مِنْهُمْ
قَالُوا لَا تَحْفَظْ خَصْمَانِ بَغْنَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَانْحَمَ
بَيْنَنَا بِالْحَنْنِ وَلَا تُشَطِّطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْبِرَّ وَالْبَرَّ ㉒ إِنَّ
هَذَا أَنْجَى لَهُ قِنْعَنٌ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلِنَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ
أَنْجِلِبِهَا وَعَزَّزَ فِي الْحَطَابِ ㉓ قَالَ لَقَدْ ظَلَمْتَكَ مِسْؤَلِ
نَعْجَتَكَ إِلَى بِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ اسْتَوْأَوْ عَلَوْ الْأَصْنَلِحَتْ

وَقَبْلٌ مَا هُمْ وَطَنْ دَأْوَدُ أَمَا فَتَنَهُ فَاسْتَغْفِرْ وَهُوَ
 وَنَرَدَ كَمَا وَآذَابَ ① فَعَفَرَنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
 لَرْلَنَ وَحَسْنَ مَعَابِ ② يَنْدَأْوَدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيقَةً فِي
 الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَنْسِعَ الْمُهَوَّنِ
 فَبِصِلَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَعْلَمُوا يَوْمَ الْحِجَابِ ③

معان الكلمات والجمل:

- | | |
|-------------------|---|
| عجل لنا قطنا | : عجل لنا بعضنا من العذاب. |
| ذا الأبد إنه أواب | : صاحب الفرة في الدين والعبادة ، إنه كثير الرجوع |
| سرنا | : إل الله تعالى وطاعته. |
| بالغنى والإشراق | : ذلك وأخضتنا. |
| والإشراق | : العني : من العصر إلى الليل. |
| وقت الصبح | : حين تشرق الشمس ونضيء ، وهو |
| الطير عشوره | : أي مجموعة. |
| شدتنا منه | : قربناه ونصرناه على أعدائه. |
| الحكمة | : النبوة وكبار العلم ، وإنقاذ العمل |
| فضل الخطاب | : القدرة على التمييز بين الحق والباطل في القضاء بين |
| | المنازعين. |

نَأْخَصِمُ	: خبر المخاصفين .
تَسْوِرُوا الْغَرَبَ	: اعلنوا سور المكان الذي كان يبعد فيه .
يَغْشَى	: تهدى وظلم .
وَلَا يُشَطِّطُ	: لا تبتعد عن الحق .
سَوَاء الْصِّرَاطُ	: الطريق الواضحة المستقية .
أَكْلَنْهَا	: أملكتها لي ، واجعلها من نصبي .
وَعَزَّزَنِي فِي الْحَطَابِ	: علني في الحوار والجادلة .
الْحَلْطَاءُ	: الشركاء .
فَنَاهُ	: ابتلياه وامتحنه .
خَرَّاكِهَا	: سارع إلى الخصوصة مستغلاً .
وَأَسَابِ	: وتاب وندم .
لَرْلَقُ وَحْسَنْ مَآبٍ	: لقرية ومرة عالية ، ومستغرقاً طيباً في الآخرة .
لَا شَيْعَ الْمُرِي	: لا تحكم بما تغيل إليه نفسك .
سَبِيلُ الْمَدِي	: ملمس الحق .

الشرح

صبر .. وتسريمة ..

حين سمع كفار مكة تهديد الله سبحانه وتعالى لهم بالعذاب إن هم أصرروا على
المعصية .. سخروا واستهزروا ، وقالوا في غرور واستكبار : إن كان ما تقوله - يا
محمد - حقاً فلانا ندعوك إلهك أن يأتيك بعذابه اليوم ، وقبل أن يأتي ذلك اليوم الذي
تنقول عنه وهو يوم القيمة .

وقد طلب الله سبحانه وتعالى من رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يصبر على إيماء
القوم ، وأن يتحمل ما يلاقى ، فإن الصبر طريق أئمته الله ورسله من قبيله ، فأهل
الكفر في كل وقت وفي كل مكان لا يستجيبون إلى داعي الحق بيسراً ، ولا يخضعون
لهدى الله بسهولة ، وإن عاقبة الصبر فلاح للمصابرين ، ونصر من الله لهم قريب .

ثُم يدعوه إلى أن يذكر رسول الله داود ، وحاله مع ربه وقومه .. حتى يتبين له من حالي ما يخفف عنه ما هو فيه ، وحتى يتبين لقومه - أيضاً - أن الناس أمام الحق سواء ، وأن داود على علو شأنه وعظم منزلته ، ورسوخ قدمه في الإيمان حين وقع في شيء . تصور أن فيه ميلاً قليلاً عما كان يتبني ، وزل به ما غسله والله .
وَدَادِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَدْ وُجِّهَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ .. فَوْيٌ شَدِيدٌ الْأَيْسُ
وَأَنَّهُ كَبِيرٌ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِّنْ شَوْهٍ .

وقد من الله عليه غذال له الجبال وأخصصها لأوامره ، فهي تأثر بأمره وتنجح
لرعايته ، وستحرك إذا تحركت ، وتسكن إذا سكت عيشته وإرادته ، وتسحب الله
معه وتزدهر في كل وقت وخاصة في وقت المساء والقصي .

كما ذكر الطبراني مجموعة له ، خاصة كما حضرت له الجبال مشتركة منها في النسخ
بتعميم الله وفضله ، رجاعتها إليها ومع داود إلى ربها ، مطبعة وعابدة .

و فوق ما أعطاه الله لداود من النعم السابعة السابقة ، أمنه ملكه بالطيبة ، ووفرة
الجند وأيده بالنصر المتلاحق على أعدائه ، وأنه النبوة وكمال العلم ليحصل بها بين
الحق والباطل ، والخطأ والصواب ، ويأخذ بأيدي الناس في حياتهم إلى طريق الحق
والخير .

قواعد العدل في الحكم :

ثُمَّ تَحْكِي لَنَا الْآيَاتُ بَعْدَ ذَلِكَ قَصْةُ الشُّرَكَاءِ الَّذِينَ اخْتَلُوا وَتَخَاصَّوْا ، فَذَهَبُوا
إِلَى دَادِ لِيُحَكَمَ بِهِمْ .. فَصَادَفَ قَرْبَةً اقْطَاعَهُ لِلْعِبَادَةِ . وَكَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَقْسِمُ
وَقَهُ بَيْنَ الْخَلُوسِ إِلَى النَّاسِ لِتَعْلِيمِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ ، وَالْفَصْلِ بِهِمْ فِي قَضَائِهِمْ -
وَالتَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ .. وَكَانَ حِينَئِذٍ يَمْلَأُ عَلَيْهِ بَابَهُ ، وَيَخْلُو فِي مَحْرَابِهِ وَهُوَ مَكَانٌ
عِبَادَتِهِ ..

جاءَ الشُّرَكَاءُ فَوْجَدُوا دَادَ قَدْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، وَخَلَا لِلْعِبَادَةِ فَلَمْ يَصْبِرُوا حَتَّى
يُخْرِجُوهُمْ .. فَسَلَقُوا الْأَسْوَارَ وَزَلَّوْا إِلَيْهِ ، فَلَا رَأْهُمْ عِنْدَكَ الْحُرُوفَ ، فَسَارُوا

يظمنته ، ويفضلون عليه قضيتهم .. وكيف أفهم اختلفوا وحاول بعضهم أن يظلم الآخر.. فلجلوا إليه ليحكم بالعدل ، ويدلّهم على الصواب ، ويُعطي كلّ ذي حقّ حقه من غير ميل ولا ظلم ولا محاباة ..

وبدأ صاحب المظلمة في عرض مظلمته :

يملك أخي هذا يعاجاً كبيرة ، يبلغ عددها تسعين وسبعين نعجة ، ومع ذلك فهو يريد أن يأخذ مني النعجة الوحيدة التي أملكها فicsنها إلى تعاجه وبعدها في ملكه .. وأنا لا أقدر على ردّه ، ولا جيأة نجني من طلبه ..

وما كاد يتنهى من قوله حتى بادر داود - عليه السلام - فأصدر حكمه في ذلك وهو أنَّ أخاه وشريكه هذا قد ظلمه عندما طلب خصم نعجه إلى تعاجه ^{حيث} إنَّ كثيراً من الناس يفعل ذلك ، فإذا أخذ ما ليس من حقه ويكتفي على مال الغير .. فإذا كانوا شركاء في أموال يبنهم حاول واحد منهم أن يكون صاحبه الأوفر وحظه الأكبر ، غير مراعٍ في ذلك حقاً ، ولا مراقب في ذلك ربياً ..

.. وفي ذلك من العذوان ما يغضب الله ولا يرضيه ..

والذين يتعلّمون ذلك لا يسلكون سبيل الإيغاثة ، فأهل الإيمان لا يجور هم أن يتعلّمون ذلك ، ولكنهم قليلون .. يندر وجودهم بين الناس ..

قال داود ذلك تحقيقاً لصاحب المظلمة ليس له أن ما فعله صاحبة إنما هو طبيعة بشرية لا يسلم منها إلا القليل من الناس ..

وгин انصرف الخصمان راجع داود نفسه ، ورأى أنه قد وقع في خطأ ، قادر بالالية والاستغفار والندم ، ودعاه الله أن يتوب عليه ، وأن يغفر له ما كان منه ، وسارع إلى السجدة في خشوع ونداع ، فغفر الله له ، وحاذنه ، فله عند الله مكانته عالية وفري ومستقر من الرضوان والنعم ..

والحقيقة التي وقع فيها داود عليه السلام دارت حول : أنَّ داود أطلق الحكم في القضية بعد أن استمع إلى خصم واحد ، دون أن يستمع إلى الآخر أو أن داود

حين نزلوا عليه فرع منهم وحاف وتصور أنهم يحرمون جامعوا يريدون قتله فلما نسب
له شأنهم أدرك أنه ظلمهم بهذا التصور والظن .

أو نعلم حين سمع مظلمتها أدرك أن افطاعه عن الناس للعبادة ، وإغلاقه الباب
دوتهم في بعض الأوقات قد أشاع الظلم ، وحجب عن حياة الناس العدالة التي
اختاره الله ليحقّقها ، وعلم أن تقصيره في حق الناس ذنب لا بد من التوبة
والاستغفار عنه .

وأيّاً كانت هنّة داود فقد تاب منها ، وندم عليها واستغفر ربه ، وقيل الله
توته وغفر ذنبه ، وظهر ساحه .

ولقد أثنت الآيات - بعد أن بيت مغفرة الله لداود - عليه السلام . ومكانته
العالية وقربه من الله عزوجل - أن الله سبحانه وتعالى قد جعله حلقة في الأرض ،
وأمره أن يحكم بين الناس بالعدل وأن يقيم الحق فيهم ، وأن يفصل في شؤونهم بما
أنزل الله إليه فلا يميل في حكمه ، ولا يخضع لهوا ، ولا يحكم بشيء ، لمن لا يستحقه
لقرابة أو وساطة أو هو في نفسه ... لأن ذلك كانه صلال ، وخروج عن طاعة الله ،
وبحانة للصواب . والذين يفعلون ذلك يتظاهرون عذاب شديد في الآخرة ، لأنهم
سوا في دنياهم يوم الحساب وما يكون فيه من ثواب للطائعين ، وعقاب للعاصين .

* * *

وَمَا حَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِطِلَّاً ذَلِكَ ظَنُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ②٧ أَمْ تَجْعَلُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُغْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ
أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ ②٨ كِتَبٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
مُبَرَّكٌ لِيَدْبُرُوا مَا يَشَاءُونَ وَلِيَذَكِّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ②٩

معاني الكلمات والجمل:

- باطلا : عينا من غير حكمة.
- وسـلـ : هلاك وعذاب.
- الفـجـارـ : الكفار الذين جاهروا بعنادهم ومعاصيهم.
- لـيـذـكـرـ : ليذكروا آياته وما نهدي إليه في تحمل وتأمل.
- وـلـيـذـكـرـ أـوـلـاـ الـأـلـبـابـ : ولينظر أولوا الآيات.

الشرح

بين اليقين والغفلة:

أهل الإيمان واليقين يدركون أن الله سبحانه وتعالى خلق السماء والأرض وما ينبعها بالحق ، وأنه - سبحانه - خلقها لحكمة عالية ، وغاية سامية ..

فَاخْلَقْنَا عَنْا ، وَلَا وُجِدْنَا لِغَيْرِ هَذِهِ أُوْلَى خَاتَةٍ ... وَمِنْ أَهْدَافِ خَلْقِهَا يَبْيَانُ
قَدْرَتِهِ سَبَحَانَهُ وَعَظَمَتْهُ ، وَنَفَرُّهُ بِالْخَلْقِ وَأَنْ إِرَادَتِهِ لَا يَجْعَلُ فِيهَا شَيْءًا ، وَأَنَّهُ
سَبَحَانَهُ وَتَمَالٌ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ...

هَذَا إِلَى جَانِبِ حُكْمِ أُخْرَى كَثِيرَةٍ ، تَنْكِرُ الْمُفْوَلُ بِعِصْمَتِهِ وَتُلْمِمُ الْمُفْوَلَ
الْأُخْرَى بِوُجُودِهِ وَلَا يَخْتَبِطُ عَنْهَا .

وَلَكِنْ أَهْلُ الْغَفْلَةِ وَالْكُفَّارُ يَعْتَقِدُونَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَيَظْنُونَ ، أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
خَلَقَنَا عَنْا ، وَأَنَّ حَيَاتِنَا إِنَّما هِيَ لَهُ وَلَعْبٌ وَأَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ ، هَؤُلَاءِ
بِكُفْرِهِمْ هَذَا ، وَيَطْلَانَ ظَاهِرَتِهِمْ سَيِّلَاقُونَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا شَدِيدًا .
إِنْ عَدْلَةُ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يَمْكُنُ أَنْ يُسُوِّيَ بَيْنَ أَهْلِ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ ،
وَأَصْحَابِ الْغَفْلَةِ وَالْكُفَّارِ .

لَا يَمْكُنُ أَنْ يُسُوِّيَ بَيْنَ الَّذِينَ تَصْنَعُونَ طَوَابِيَّاهُمْ ، وَتَصْلُحُ أَعْمَالَهُمْ ، وَيُخَلِّصُونَ
عَادِئَهُمْ لَهُ ، وَطَاعَنُهُمْ لَهُ ، وَبَيْنَ مَنْ تَصْنَعُ طَوَابِيَّاهُمْ ، وَيُخَلِّصُونَ فِي الْأَرْضِ ،
وَنَجْعَلُ أَعْمَالَهُمْ ... لَا يَمْكُنُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْمُتَقِنِينَ مِنْ أَجْيَاهُ وَبَيْنَ الْفَحَارِ الَّذِينَ لَا
يَتَقَوَّهُ وَلَا يَخْشَوْهُ ...

فَالْأُولَئِنَ أَهْلُ النِّعَمِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَالآخِرُونَ أَهْلُ الشَّقَوَةِ وَالْعَذَابِ .
وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُرْآنًا مَارِكًا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى
النُّورِ وَيُرْشِدُ إِلَى الصَّوَابِ وَالصَّلَاحِ .

لِيَقْرَأُ النَّاسُ آيَاتِهِ . وَلِيَتَدَبَّرُوا مَا فِيهَا مِنْ بَيَانٍ ، وَلِيَلْتَمِمُوا مَا هَدَى اللَّهُ إِلَيْهِ فِيهَا مِنْ
أَحْكَامٍ . وَالَّذِينَ يَتَعَمَّلُونَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِكْمَةٍ وَعِلْمٍ وَمِنْ هَدِيَّةٍ إِنَّمَا هُمْ أَصْحَابُ
الْمُفْوَلِ الرَّاجِحةِ ، وَالْقُلُوبُ الْمُفْتَنَةُ ، الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ الْمُفْوَلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ ،
وَيَعْرُفُونَ الصَّالِحَ فَيَسْلُكُوهُ ، وَلَا يَجِدُونَ عَنْهُ .

* * *

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِعْمَ الْعَبْدِ
 إِنَّهُ أَوَّابٌ ③ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشْوَى الصَّفِيفَتْ
 الْجَيَادُ ④ فَقَالَ إِنِّي أَحِبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِي
 رَبِّي حَتَّى تَوَارَثَ بِالْجَيَادِ ⑤ رُدُوها عَلَى فَطْلَقَنْ مَسْحَا
 بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ ⑥ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَلَقَنَّا عَلَى
 كُرْسِيهِ جَدَّامَ أَنَابِ ⑦ قَالَ رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
 مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ أَلَوَهَابُ ⑧
 فَخَرَنَاهُ أَرْبَعَ تَجْبِيرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ ⑨
 وَالشَّيْطَنِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَواصِ ⑩ وَهَانِرِينَ مُقْرَبِينَ
 فِي الْأَصْفَادِ ⑪ هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمِنْ أَوْ أَمِسْكِ يَغْبَرُ
 حِسَابِ ⑫ وَإِنْ لَمْ يَعْنِدَنَا لَزْلُونَ وَحُسْنَ مَعَابِ ⑬

معان الكلمات والجمل :

الصفات	: الخبول التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة .
الجبار	: السرع التي تسبق عن العدو .
أحيى حب المحب	: آثرت حب الجبل .
عن ذكر ربئي	: لأجله تعالي تغوره لدببه .
نوارت بالحجاب	: غابت الحيل عن الأنصار .
قطفن متّحا بالسوق والأعناق	: أخذ يمسح يده على سبقاتها ورقابها .
فتا سليمان	: امتحاه وابتلياه .
آثينا على كربلاه جسدا	: القبا على سرير ملكه نصف إنسان ولدته إحدى ساله .
أناب	: رفع إمل الله بالثورة .
رُحْجَاه حيث أصاب	: ليلة منقادة لاراداته .
مُكْرَبَين في الأسفاد	: مقوون بعضهم إلى بعض في قبور تجمع أنديتهم إلى أعناقهم .
هذا عطاونة	: ملوك الذي وهبناه لك .
قامون أو أمسك	: فأعطيت من شقاء وألم من عن شقاء .

الشروع

سلیمان . . . والخوا :

بعد أن انتهى الحديث عن داود - عليه السلام ، وما كان من شأنه وإكرام الله له ، يقول توره ، وجعله حلقة في الأرض بين القرآن هنا أن من بين الله التي أعطاها لداود إعتماد عليه بولد صالح عابد الله سبحانه يرجع إلى ربه في كل شأن من شأنه هو سليمان - عليه السلام . الذي امتدح الله سبحانه وتعالى بأنه : نعم العبد وبعث الآيات كذلك حب سليمان - عليه السلام . للخليل ، واهتمام بها ، وحرصه على رعايتها .

وتصف الآيات موقفا له ، وهو يستعرض هذه الحيل وقد وقفت على أرجل ثلاث وارتكبت على طرف حافر الرابعة ، ثم وهي تتشي أمامه .
وقال سليمان لن حوله من شاهدوا احتقامه بها ، واهتمامه ورعايته لها : إنه يحب الحيل لأنها وسيلة لإعلاء دين الله ، وتتنفيذ أوامره فلقد كانت في أيامه عدّة المجهاد الأول ، ووسيلة الحرب التي يسكن بها من النصر على أعداء الدين وأعداء الله .
ثم ظلّ يتابع الحيل حتى انتهى إلى آخرها ... وعندما أمرهم بأن يعبدوا عرضها عليه . وفي أثناء عرضها للمرة الثانية كان يمسح بيده على سبقها وأعاقها عنابة بها وعطّلا عليها ، وذكرها لها .

الفتنة . . . والإنعم :

الامتحان من الله سبحانه وتعالى للناس ، يميز بين الطيب والردي ، والصالح وغير الصالح .

وكل الناس يتهمون الله سبحانه وتعالى ويختبرون ، وبختبار الآباء والأخيار من إنسان لإنسان .. ولا يخرج عن امتحان الله سبحانه وتعالى كرام الأباء والمقربين من الرسل ...

ولقد مرت بنا من قرب فتنة داود وامتحانه ، ثبّتا لرسول الله - حصل الله عليه وسلم - ، وتسري عنه في امتحانه بما يعايه من قومه .

والأيات هنا تعرض لنا . أيضًا . امتحان الله لسليمان - عليه السلام - وكيف عز عليه أن يترك ملكه العظيم بلا وارث يرثه من بعده ، وتصور أنه يمكنه أن يأتي بسلكثير ... بل لقد صرخ بذلك لن حوله وأنه سيأتي عاته ولد يرثون هذا الملك ، ويحافظون عليه ويحمونه من الزوال والضياع . وكان لسليمان زوجات كثيرات . وكان أن جاءه من إحداهن ولد لم يكتمل نسمته ، فقدم إليه وهو على سرير ملوكه ... شقيق ولد !! بقطط !! غير صالح للحياة !! .

وأندر سليمان أن الملك الله يورثه من يشاء من عباده ، وأن تنبأه الولد ليس أمرا منكرا ... فقد تنبأ إبراهيم من قبل ، فاستجاب الله له ومنْ عليه به ... ولكن إبراهيم تنبأ بالطريق السوي السليم ، حيث توجه إلى الله سبحانه وتعالى بدعائه :

رَبَّ هَبَّ لِي مِنَ الْمُصْلِحِينَ ^(١) فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاهُ، وَحَقَنَ لَهُ

أَمْيَهُ، وَكَانَ الْإِجَابَةُ : **فَبَشَّرَنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ^(٢)

أما سليمان فقد تصور أن كلية نسائه يمكن أن تحقن كلية الأولاد ، وكان الواجب عليه أن يلتجأ إلى الله سبحانه وتعالى لتحقيق رغبته ، وإجابة طلبه ، وأن يسلك الطريق التي سلكها إبراهيم من قلبه حتى لا يقع فيها وقع فيه من خطأ .

وما كاد سليمان يرى ولدته هذا حتى أدرك أنه في امتحان ، فعاد إلى ربه مسرعاً وندم على ما قال ، وتاب ، وطلب من الله المغفرة ، ورفع كنه بالدعاء يطلب من الله ، أن يهبه من الملك الواسع العريض الذي لا يسهل حصوله لأحد من بعده ، قد عرف أن عطاء الله ليس له حدود ، وأنه سبحانه يهب عطاياه من يشاء ، وأن الذي يقصد به لا يرد حالياً .

ووجهته نعم الله متابعة ، وتحقق له من ورائه توبته ودعائه ما لم يكن يتوقع ، فقد جعل الله أمر الريح بيده ، تسير بأمره وتحرك بمشيته ، تحمل الخبر والمطر إلى أي مكان يشير به ، أو يأمرها أن تذهب إليه .

كذلك جعل أمر الشياطين - بما تعرف من فنون ، وما تتفن من صنائع - جعلها في إمرئه ، يتحكمها وسيطر عليها ، وأمرها فلا تعصي له أبداً ، يعلمون له في البر وفي البحر ، والذين يقتربون في طاعته ، أو يخالقون أمره يخلصهم عن الحرارة ، ويقيتهم بالقيود .. كل هذا وغيره من حيلة الله لسليمان - عليه السلام ، تحقيقاً لأميته ، واستجابة لدعائه ، عطاء منه سبحانه وتعالى خالصاً له ، وبين له ربُّ العزة : أن هذا العطاء خاص سليمان يعطي منه من يشاء ، ويعين منه من يشاء ، دون رقيب عليه ، ولا محاسب له .

وثبت الآيات بعد ذلك : أن كل هذه النعم والعطایات إنما هي نعم دائمة زائلة وأن النعمة الكبرى التي أخذت سليمان إنما هي في المزنة العالية التي تستقره عند الله ، وأنه من المقربين ، وأن له عند ربه خير مرجع ، وأكرم مستقر ، في نعم خالد لا ينتهي ولا ينعد .

(١) سورة الصافات : ١٠١ - ١٠٢ (٢) سورة الصافات : ١٠١ - ١٠٢

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنَى الشَّبَطَانِ
سُقْبِ وَعَذَابٍ ⑪ أَرْكَضَ بِرِجْلَكَ هَذَا مُغَتَّلٌ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ⑫ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعْهُمْ
رَحْمَةً مِنَّا وَذُكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ⑬ وَخَذْ بِيَدِكَ
ضِيقَةً فَاقْتَرَبْ بِهِ وَلَا تَخْتَفَ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَارِيَّا تَعْمَلُ
الْعَدُوُّ إِنَّهُ أَوَابٌ ⑭

معاني الكلمات والجمل :

مسني : أصابني .

ارکض برجلك : اخرب بها الأرض .

هذا مغتسل : هنا ما يختنق به .

ضيقنا : قيضة من أغوات القش وغدوة .

ولا ترتع : ولا ترجع على حلفت عليه .

الشرح

صرير أیوب:

كان أیوب عليه السلام ، من عباد الله الصالحين ، وأئيائه المخلصين ، جاءه الله
بثم وفيرة فتلال الذي يملكه كثیر ، وأنواعه عديدة ، فلن زراعة إلى عقار إلى أعمام
وذهب وفضة ، ووفرة في الأهل ، وكثرة في الأولاد ، لا بيت لبة ، ولا يقر له

حسب حتى يطعن إلى أن كل من حوله من الناس ، قريرا كان أو بعيدا ، وخاصة أهل الحاجة من الفقراء إلا وقد قضيت وسدت حاجته ، ووصله ما يكتبه .
وكان مثلا في قومه للخلق الكامل ، والصلاح والتقوى ، وكان محبوها منهاً وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدًا - عليه الصلاة والسلام - أن يذكر قصة أبوب لقومه ليعتبروا بها فيها ، وكذلك ليحلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقوع ما يلاقيه من قومه ..

فقد أصبح أبوب ذات يوم ، وقد ضاع منه كل شيء .. فالآموال ذهبت وتبذلت ، والأهل والولد ماتوا وتفرقوا عنه ، وتشتتوا في الأرض ، وبعد أن كان قريرا فيها أقدمه المرض ، واشتد به البلاء فلم يعد قادرًا على الحركة ولا على العطق .
و لم يبق من حوله سوى زوجه ، ونفر قليل من أصحابه ، لا يجدون حيلة معه ،
ولا وسيلة تعيد إليه صحته ، أو تدفع المرض عنه ..
.. وهو صابر لبلاء الله واغفة التي وقع فيها .

ولقد سوس الشيطان لزوجه وصحبه : أن أبوب لو كان قريرا من ربه ما أصابته هذه الحنة ، ولا وقع في هذا البلاء ، فقلعوا ذلك إليه ، وأسعموه إياه ، فاشتد وقع ذلك عليه ، وتضاعف له ، وأدرك أن الشيطان يحاول أن يفسد عليه زوجه وصحبه بعد أن عجز عن الوصول إليه ، وزعزع عنه ، وزحزحه عن طريق الإيمان ،
 وإن راحه عن صبره واحسنه همزم في نفسه وأقسم لأن شفاعة الله سبحانه وتعالى ،
وكشف ما به من بلاء ليصربيها عددا من الضربات جراء استئعابها للشيطان ،
وزعزعة نفتها في قريه من الله ، وصدقة معه ...

فتنى على الله أن يجعل عقدة لسانه ، وجار إلى الله بالدعاه ، واستخاره به
فأثلا : إن الشيطان يُفسد على من حول ، فيضاعف مشقتي وتعني ، ويزيد من عذابي وأللي .. فأمره الله سبحانه أن يضرب الأرض برجليه ، فيضاجر ما يحتصل منه ، فيزول ما يمسده من بلاء ومرض ، ويشرب منه فتعود إليه صحته ، ويرجع كما كان قريرا فيها ..

فبادر أبوب إلى ذلك ، وسارع إليه ، وتحقق له ما وعد به ، ورد الله عليه أهله وماله وتضاعف من حوله المال والولد ، إكراما لصبره الطويل على بلاء الله

واختيارة . وجزاء له على ثباته على اليقين والإيمان ، ورحمة من الله بعد أخلص قلبه
له ، ولم يملك الشيطان أن ينخدع إليه ..

ثم يبين لنا من خلال هذه القصة حتى الآن : أن العبرة يجب لا تغيب عن
 أصحاب المقول والقطنة ، من أن النجوة إلى الله في كل أمر من الأمور عاقبتها حير
وغلام وتأييد من الله ونصر ، وأن الخن التي تمر ببعض الناس ليست دليلاً على
غضب الله أو تفضيرهم في حفته ، وإنما هي امتحان للصبر والإيمان والثبات .

* * *

جاءت امرأة أبوب تحمل إليه بعض الرزاد فلم تجد في مكانه ، وووجدت على
مقربة منها رجلاً فرياً قوياً .. سأله عن المرض المُقدّع .. قدّلها على نفسه ، فأذعنها
مارأت ، ولم تصدق عينها ، فكشف لها عن دعائه ، وبين لها أن الله لا يضيع عادة
الصالحين ... وما كادت تسمع منه ما سمعت حتى ندمت على استياعها لوسوءة
الشيطان . وندمت كذلك على نقلها وسوءة لأبوب - عليه السلام ..

نظر أبوب - عليه السلام - إليها ، وأراد أن ينخدع قسمه ، ووقف متربداً .. كيف
يضررها وقد قاتلت على رعايتها بإخلاص وتفان ، مدة مخنته الطويلة ولم تذر طاقة ولا
جهدًا في سبيل تأمين حاجتها من الطعام والدواء ، حتى قاتلت بالخدمة في البيوت
بالأجر وصادقتها خلال ذلك كثيرًا من المصاعب والمتاعب والمصايبات .

تأمل أبوب - عليه السلام - ذلك كله ، وفكّر كيف يُنجز في بيته ، وينخدع قسمه ؟
فهذا الله - سبحانه وتعالى - إلى أن يأخذ مجموعة من العبدان والحتاشين بعدد
الصربيات التي حددوها ثم يضررها بها ضربة واحدة ، وبذلك يكون قد يُنجز
ويم بوعي بها لما أو يسبب لها أذى .

وقد امتحن الله سبحانه وتعالى أبوب - عليه السلام ، بأنه عبد صالح ، امتحن
صبر على امتحان الله له ، ولم يترجح خطوة مع شدة اللاء ، وقوسة الامتحان عن
صدق الإيمان ، وثبات اليقين .

من أجل ذلك كان إكرام الله له ، وكشفه الفرج عنه ، وإيجاد الفرج له في إنفاذ
قسمه ، كما وصف - عليه السلام - بأنه - فوق صلاحه وحيل صبره - كبير الرجوع إليه
سبحانه في جميع شئونه ، وفي كل وقت من أوقاته .

وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِحْمَانَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَئِمَّةِ
وَالْأَبْصَرِ ⑯ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ دَجَّرَى الدَّارِ ⑰
وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمْ يُمْسِطُفُونَ الْأَخْبَارِ ⑱ وَأَذْكُرْ
لِسْمِعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْبَارِ ⑲

معاني الكلمات والجمل:

- أول الأئمّة: أصحاب النعم على الناس والإحسان إليهم.
- الأبصار: أهل الصالح في العلم والدين.
- أخلصناهم بخالص: خصّناهم بصفة لا يُسبّ فيها.
- المُسْطَفُونَ الْأَخْبَارِ: المختارين من أهل الخبر والتفوي.

الشرح

المصطفون ... الأخبار:

بعد أن فضلت الآيات السابقة شيئاً من حياة بعض رسل الله - عليهم السلام، أجملت الآيات هنا ذكر طائفة أخرى من الرسل، أبرز الرسول - صلى الله عليه وسلم - بذكرهم ، وتنذر أحوالهم .

فهم من الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى ، وقربتهم منه .

ولكل واحد منهم جهاد في سبيل الله ، وإنلماص في الطاعة والقرب . ومعاناة
وابتلاء وصبر جميل ... وهم من أهل القوة والعمل الصالح ، والتذرع والاعتبار .. لا
يغترون عن طاعة الله ليلًا ولا نهارا ، ولا يُضيّعون لحظة من لحظات حياتهم دون أن
يقدموا فيها خيرا ، ويعملوا نافعا ، أو يقدموا للغير هداية ورشدا .
ولقد اخْصَّهُم الله بسُبحانه وتعالى بخصلة تزيدُهم من الله قربا ، ونكتشف لهم
طريق الحق والهدى ، والصراط المستقيم .

وذلك الخصلة هي ذكر الآخرة ، والتيقن من أنهم سُبُّرُضُون على رحمة يوم
القيمة يسأّهم مما عملوا ، وبجازِهم على ما فَعَلُوا .

من أجمل ذلك كانت قلوبيهم على صلة دائمة بربهم ، حاصلين على مخلصين ، عند الله
في مكان كرم ، اسطفاهم ، واحتارهم ، وفضلهم ، وأيدُهم في كل حال
وموقف .

من هؤلاء من خصّهم الله بالذكر في هذه الآيات وهم :
إبراهيم وإسحاق وبقروب وإسماعيل واليسع وذو الكفل . ومن هؤلاء من اشتهرت
معه وقصة بلاته ، وفضلت في القرآن تفصيلا .
وسنهم من ذكر الله ، وذكر حاله بإجمال .

وليس يخفى ما ابْتَلَ به إبراهيم عليه السلام مع قومه حتى ألقوه جا في النار

هَالَّوْا حَرَقُوهُ وَأَنْصَرُوا أَهْلَهُتُكُرْ إِنْ كُنْتُمْ فَلَعِلَّيْنَ ١٥٦
فُلَّنَا يَنَارُ كُونِي بِرَدًا وَسَلَّمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ١٥٧ وَأَرَادُوا بِهِ
كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ١٥٨

(١) سورة الأنبياء : ٧٠-٧٨ .

و كذلك ما ابلي به إسحاق عليه السلام ، حين تعرض للذبح .
 فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ الْئَعْنَى قَالَ يَثْبُتَ إِنِّي أُرَدِي فِي الْمَنَامِ أَتَيَ
 أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَابَتْ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِنَ
 سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ⑪ فَلَمَّا أَسْلَمَ
 وَنَلَمَّا لِلْجَاهِينَ ⑫ وَنَدَيْتَنَّهُ أَنْ يَكُونُ بَرِّهِمُ ⑬ قَدْ صَدَقَتْ
 الْأَرْثَيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ⑭ إِنَّ هَذَا هُوَ
 الْبَلْتَنُوا الْمُبِينُ ⑮

و كذلك ما ابلي به يعقوب حين فقد يوسف :
 وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَسَوَّفُ عَلَى يُوسُفَ وَآمِيَضَتْ عَيْنَاهُ
 مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَيْظِيمٌ ⑯ قَالُوا نَاهِلُهُ فَقَنَّوْنَاهُ ذِكْرُ يُوسُفَ
 حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمَلِكِينَ ⑰ قَالَ
 إِنَّمَا أَشْكُوْنَيْ وَحْزِنَتْ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ ⑱

ولقد وُجِدَتْ كُلُّ مِنْ ذِكْرِهِمُ الْآيَاتِ بِأَنَّمِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَمَدْحُومُهُمْ بِالْقُرْبِ وَالْكَرْمِ .

(١١) سورة العنكبوت : ١٠٦-١٠٩ . (١٢) سورة يوسف : ٨٩-٨٤ .

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ الْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَعَابٍ ⑬
 جَئْنَتِ عَدِينَ مُفْتَحَةً لِمُمْ الْأَبْوَابُ ⑭ مُنْكِبِينَ فِيهَا
 يَدْعُونَ فِيهَا يَفْكِهُهُ كَثِيرَةً وَشَرَابٌ ⑮ * وَعِنْهُمْ
 فَنِصَارَاتُ الظَّرِيفِ أَزَابُ ⑯ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمَ
 الْحِلَابِ ⑰ إِنَّ هَذَا لِرَزْقٍ مَالِهِ مِنْ نَفَادٍ ⑱ هَذَا
 وَإِنَّ لِلْطَّاغِينَ لَشَرَّ مَعَابٍ ⑲ جَهَنَّمَ يَصْلُوْنَهَا قِبْسَ
 الْمِهَادِ ⑳ هَذَا فَلَيَدُوْفُوهُ حَيْمٌ وَغَيْمٌ ㉑ وَاهْتَرِمْ
 شَكِيلَةَ أَزْوَاجٍ ㉒ هَذَا فَرْجٌ مُفْتَحٌ مَعْكُدٌ لَامْرَاجًا
 زِيَّمٌ إِنْهُمْ صَالُوا النَّارِ ㉓ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبٌ
 أَنْتُمْ قَدْمَتُمُونَهُ لَنَا فِيْنَسَ الْقَرَارِ ㉔ قَالُوا رَبَّا مِنْ قَدْمَ
 لَنَا هَذَا فَرْزَدُهُ عَذَابًا ضَعْفَانِيْنِ الْأَنَارِ ㉕ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا زَرَى
 رِجَالًا كَانُوا دُهْمِ مِنَ الْأَشْرَارِ ㉖ أَخْدَنَهُمْ بَخْرٌ يَا أَمْ زَاغَتْ
 عَهُمُ الْأَبْصَرُ ㉗ إِنْ ذَلِكَ لَحَقٌ خَاصُّ أَهْلَ النَّارِ ㉘

معاني الكلمات والجمل:

متكين فيها	: يجلسون جلسة مسترحة مستندين إلى مسندتهم.
يدعون	: يطلبون.
فاصرات الطرف	: حيّات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.
أنسراب	: مستويات في الشباب والحسن.
ل يوم الحساب	: ل يوم الجزاء.
ما له من نقاد	: ما له من انتطاع وفناه.
وابن للداعين لئَرَّ مات	: وإن للذعدين لئَرَّ مات.
جهنم يصلوتها	: النار يدخلونها ويقاسون حرها.
فسس الهاد	: ساء فراشهم ومستقرهم في النار.
حسم	: ماه بالغ نهاية المحرارة.
عنّاق	: صنديد بليل من أجسامهم.
وآخر من شكله أزواج	: وعذاب آخر من جنه أسفاف وألوان.
فروج	: جمع كثير.
منتحم معكم	: داخل معكم النار فهم.
لا مرحا بهم	: لا يلافقون ترجيا.
صالوا النار	: محظوظون بها.
عنابا ضعفا	: عذابا مضاعفا.
أعذناهم سخريا	: أكثروا نيرا بهم ونستخف في الدنيا، وكانوا على صواب ونحن على خطأ؟.
راجحت	: مالت ونجوت.
نخاًصُّ أهل اللد	: تجادهم ونلاعهم.

الشرح

جزاء المتشين:

ما مرّ من ذكر لأحوال الآباء السابقين، وانتداجهم بما حصل لهم الله من فعل، وما كرّمهم به من التقرب والإنعام، وما أعدته لهم من جزاء على أذائهم

الرسالة ، وتحملهم لآماناتها ، وصبرهم على ما لا يُفوا في سيلها – إنما كان ذلك نذكيراً للنبي – صل الله عليه وسلم – بأن كل رسول من رسول الله لا في ما يلقي من عناد الكفار وإبلاتهم ، وأن العاقبة كات وبألا على الكافرين ، ونصرًا للأنبياء والمرسلين ، ومن آمنوا بهم ، وساروا على خطتهم ...

وأن النتيجة ستكون في النهاية لصالحة ، صالح الرسالة التي يتحملها
وكذلك كان في ذكر الأنبياء وأحوالهم مع أقوامهم تنبه للمعاذين المكابرین؛
ليتوبوا إلى الرشد ، ويعودوا عن الضلال قبل فوات الأوان .

وفي ذلك – أيضاً – بُشّر المؤمنين المتدينين الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى ،
وبرسوله – صل الله عليه وسلم ، وأيديوه ونصروه ، واتبعوا الور الذي أترى لهم حيث
يتحقق لهم ما وعدوا به من نصر في الدنيا ، وجنات مفتحة أبوابها تتلقاهم فرحة بهم
يوم القيمة ... وهي نعم المرجع ، ونعم المستقر ... يستمدون فيها بكل ما تشتهي
أنفسهم ومحدون فيها راحتهم وسعادتهم وأمنهم ، ويُسْتَر حاليهم ، وكامل
الطمأنينة ، فهم يجلسون فيها مستريحين ، يطلبون ما يشاؤون من فاكهة متعددة ،
 وأنواع من الشراب للدينة ممتنة ، ومعهم سماوة من أهل الجنة حيتان عفيات ،
جسان جميلات غير متبرجات ، يُقْسِرُن جلوسهنْ واهتَاهنْ ووَدْهُنْ على
أزواجهن .

وهذه الشري بضم الجيم تتحقق للمؤمنين المؤمنين يوم القيمة بعد أن يُحاسب كل
واحد على عمله ، ويستقر مع جزائه .

وهذا النعم الذي يلاقاه أهل الجنة إنما هو عطاء الله ورثة مخلود لا يقل ولا يفني .

جزاء المعاذين .. ومحاصمهم :

بعد أن بيت الآيات حال المؤمنين المتدينين ، وما أُعِدَ لهم في جنات النعم يوم
القيمة ، بدأت هنا ثُبُّين أن الكافرين المعاذين ، الذين استكباوا على الإيمان ولم
يأدوا إلى طاعة الله ، والإعراض برسوله ، أُعِدَ لهم شر مستتر ، وأسوا مقابر ،

وستظفرون يوم القيمة منزل الأشرار تأجج نيرانه ، ويتلهف على استقبالهم ليشوي وجههم وأيديهم - فراشهم النار ، وعطاؤهم النار .. تكوى بها .. جاههم .. وجذبهم وظهورهم كلما بليت جلودهم أيدلوا غيرها لينتفعوا العذاب .. وكلما اشتد بهم العطش فدمُّهم ماء حار شديد الغليان ، يمطرع أمعاءهم ، ويسقطون مع ذلك ما ينزل من أجسادهم من صديق وفيع ..

هذا إلى جانب أنواع أخرى من العذاب متعددة ..

فن أغلال تربط بها أنفاسهم ، ثم يسجون بها على وجوبهم في النار ، أو قيود تربط بها أيديهم وأرجلهم ، ثم يمذقون في قعر الجحيم ، إلى كثل من النيران تدخل من أنفاسهم ، وتخرج من أدبارهم ..

وتذوقون في النار أقوالاً ، وجماعاتٍ كبيرةٍ من رواه جماعاتٍ كبيرةٍ .. كلما دخلت جماعة لدت أختها .. لا يلتئم في النار ترحيا ، لا من النار ولا من في النار ! وإنما يصادفون اللعن لهم ، والدعاء عليهم ، فلا يكون جوابهم على هذا غير اللعن والدعاء نتيجة لما هم فيه من موقع سبي ومستنقع .. ويتنى أهل الفضائل عن أصلوهم ، ويرى كل منها التمهة على الآخر . ويدعو أهل الفضائل : أن يصافع الله العذاب ليسن أصلوهم ، وأن يزدده بخزي في النار وهوانا .. ولا يكون المحواب إلا مصافحة الخزي للجميع ، ومصافحة الهوان للجميع ، ومصافحة العذاب للجميع :

﴿كَمَا دَخَلْتَ أَمَةً لَعْنَتْ أَخْتَهَا حَتَّى إِذَا أَدَارَ كُوَافِيهَا جِيَعاً
قَالَتْ أَخْرَهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَذُلَّا وَأَصْلُونَا فَعَانِيهِمْ عَذَاباً
ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)

(١) سورة الأعراف - ٣٨ -

وَنَلْفَتْ أَهْلُ النَّارِ مِنْ حَوْفِهِمْ ، وَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ رِجَالٍ كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا آتَيْنَا بِمَا كَفَرُوا بِهِ هُمْ ، وَأَطْعَمُوهُ رِسْلَهُمْ لِمَا جَاءُوهُمْ بِهِ ، فَكَانَ أَهْلُ النَّارِ يَسْخَرُونَ مِنْ آتَيْنَا ، وَيَزَّرُونَ بِهِمْ ، وَيَحْسُنُونَ أَنْهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ..

.. وَهَاهُمْ الآن لَا يَعْدُونَهُمْ .. لِيَسْأَلُونَ :

هَلْ كَانَا حَاطِئِينَ حِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا ! ! ٢

أَوْ أَنَّهُمْ مُوْجَدُونَ مَعَنَا ، وَلَكُنَا مِنْ كَثِيرَةِ الرِّحَامِ ، وَهُنُولِّ مَا نَعْنَ فِيهِ لَا تَقْدِرُ عَيْنُنَا عَلَى تَحْدِيدِ مَكَانِهِمْ ! ! ٣

هَذَا الْاِنْصِرَافُ ، وَتَلْكَ الْحِيَرَةُ ، وَذَلِكَ الْصِرَاعُ وَالْخَاصُّ الَّذِي تَحْكِمُهُ الْآيَاتُ عَنْ تَحْاصِمِ أَهْلِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ ، هَذَا كُلُّهُ حَقٌّ لَا يَدَّ أَنْ يَعْدَثُ حِبْثَ حِبْثَ حِبْثَ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ .

* * *

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الرَّحِيدُ الرَّحِيمُ^{٦٥}
 رَبُّ الْمَوْتَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَدْعُونَا إِلَّا فِي لَغْيَرِ الْغَفْرَانِ^{٦٦} قُلْ
 هُوَ نَبِيٌّ أَعْظَمُ^{٦٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ^{٦٨} مَا كَانَ لِي مِنْ
 عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِذْ يَخْتَصِّمُونَ^{٦٩} إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا آنَاءَ
 أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ^{٧٠} إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالقُ بَشَرًا مِنْ
 طِينٍ^{٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعَ عَلَوْ
 سَاجِدًا^{٧٢} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ^{٧٣} إِلَّا
 إِبْلِيسَ أَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكُفَّارِينَ^{٧٤} قَالَ يَتَابِلِيسُ
 مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا حَلَقْتُ بِسَدَّى أَسْتَكَبْرَتْ أَمْ كَنْتَ
 مِنَ الْعَالَمِينَ^{٧٥} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ حَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَنِي
 مِنْ طِينٍ^{٧٦} قَالَ فَأَنْتَ رُجُمٌ^{٧٧} وَإِنَّ عَلَيْكَ
 لَعْنَتِي إِلَيْكَ يَوْمَ الدِّينِ^{٧٨} قَالَ رَبِّي فَأَنْظُرْنِي إِلَيْكَ يَوْمَ يُعْثُرُونَ^{٧٩}

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝ إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ
 الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ فَبِعِزْرِتِكَ لَا يَغُرِّنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا
 عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَفْوَلُ ۝
 لَا مُلَانٌ لِّجَهَنَّمِ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قُلْ مَا
 أَنْفَلْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُنَكَّلِفِينَ ۝ إِنَّهُوَ إِلَّا
 ذِكْرٌ لِّلْعَلَّيْنِ ۝ وَلِتَعْلَمَنَ شَاءَ بَعْدَ حِينِ ۝

معاني الكلمات والجمل:

سَأَعْظِيمُ	: خبر خطير
مُشْرِضُونَ	: غافلون معاذبون
بِالْأَلْأَعْلَى	: الملائكة
يَخْتَصُّونَ	: يجادلون في آدم وخلقه
سُورَةٍ	: أكملت خلقه بالصورة الإنسانية
نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي	: منحه ما به حركته وجاته
فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ	: سارعوا لتحية بالسجدة احتراماً لا عادة
الْعَالَيْنِ	: المستحبفين للعلو والرقة
رَجِيمٌ	: مطرود من كل رحمة الله وخير
لَعْنِي	: غضبي . وطردي . وابعادي إياك من رحمتي
يَوْمُ الْقِيَامَةِ	: يوم القيمة
فَأَنْظُرْنِي	: فأمهلي

بِرَبِّكُلِّ أَنْوَارٍ : أقسم سلطانك وجبروتك وفهرك لأصحابي بثرين العاصي.
الْمُخْلَصِينَ : الذين أخلصهم الله لطاعته ، وعصهم من الصال .
فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَنْوَرٌ : الحق : قول الله وإذا قال تحقق ما يقول .
الْمُسْكَنَلِينَ : المتصفين بالستوكلين على الله .
بَأَنَّ : ما أخبروا به .
بَعْدَ حِينَ : بعد حين .
بَعْدَ وَفْتَ : بعد وفت .

الشرح

رحمة الرسول :

الرسول - صلى الله عليه وسلم -، حين تترى عليه رسالة الله ، ويرى ما أيد لأهل الطاعة ، وما يتضرر العصاة الملعونين ، يتضاعف حرصه على إنقاذ الناس من الملاك وحياتهم من التعرض للعذاب .

من أهم وظائف الرسالة الإنذار والتشير ، وكلها يدل دلالة كبيرة على رحمة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، واتكال حاته ، وعظيم رعايته ..

فهو حريص على هداية الناس جميعاً إلى الخير ، وإلى الطريق المستقيم ، وكان يخزنه - صلى الله عليه وسلم - أن ينصرف البعض عن الإيمان ، وكان يسوؤه ذلك وينزعج في نفسه :

فَلَعْلَكَ بَنْخُ نَفْسَكَ عَلَىٰ إِثْرِهِمْ إِنَّ لَهُمْ بِرْزَقًا يَهْدَى

الْحَدِيثُ أَسْفَاقًا ^(١)

ونقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يقول لأهل مكة :
إنه جاء متراً لهم ومحذراً عاقبة البرد والعناد ، وما يتضرر المكذبين الصالحين في الدنيا وفي الآخرة من عذاب .

(١) سورة الكهف : ٦

ويبين لهم : أن الإله الحاقد المصور ، المثير لشئون الحياة والذى يبده ملوكوت كل شيء ، وملك كل شيء .. إنما هو إله واحد ، لا شريك له ، ولا صاحبة ولا ولد .. وأنه سبحانه - قاهر فوق عباده ، غالب لا يُغلب ، منه وحده الإنعام ، ومنه البداء ، وإليه المرجع والمتأب ..

خالق السموات ورثها ، رب الأرض وخالقها ، وما بين السماء والأرض صانعه سبحانه وحده ..
هو العزيز الذي لا يغير إلا من أعزه ، ولا يستطيع أحد أن يرده عقايه ...
وهو وحده الذي يقيل الكروية عن عباده ، ويغفر لنهم وتاب ، ورجع عن ذنبه
وعزم على لا يعود إليه .

ولقد أمره الله - أيضاً - أن ينهي أهل مكة ، إلى أن القرآن العظيم الذي جاءهم به ، فيه هدايتم بما تضمن من أحكام ، نظم حياتهم وتصلح دنياهم ، وتعدهم لسعادة الدنيا ، ونعم الآخرة ، وأن ما حواه الكتاب الكريم .. من تشريع وقصص .. ونوجيه .. وغير .. يجب أن يتبعوا به ، لا أن ينصرفوا عنه ويعرضوا كما يفعلون .

ويقتضى عليهم خيراً من الملا الأعلى .. وهو (أي محمد عليه الصلاة والسلام) لا يعلم الغيب .. وإنما أعلمته الله به ليخبرهم به ، إنذاراً لهم ، وتبسيها إلى وجوب الطاعة والاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى .

الخير الذي يعرضه عليهم هو انتظام الملا الأعلى ، وما دار من حوار بين الملائكة وربهم حين خلق الله آدم ، ووقف إيليس اللعين من أمر ربه ، وكيف كان جزاؤه حين عصى ، حيث طرد ولم يشفع له ما كان عليه قبل ذلك من طاعة ومن عبادة .. وبذلك يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قام بمهمة في الإنذار والتحذير على أوضح صورة ، وأكمل بيان .

آدم .. والملائكة .. وإيليس :

يُقتل الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأهل مكة ، ما حدث بالملا الأعلى حين أعلم الله سبحانه وتعالى ملائكته أنه سيخلق بشراً من الطين ، يسكن الأرض ويعمرها ، ويكون خليفة الله فيها ..

وأمرهم سبحانه حين يُمْلأ خلقه ، ويُحَلَّ به الحياة ، أن يادروا بالسجود له .
احتراماً لخلقته سبحانه ، وطاعة لأمره ، وتذكر ما خلبته ، وليس عبادة لأدم - عليه
السلام .

فلا ألم الله خلق آدم ، بادر الملائكة كلهم إلى تنبيه الأمر ، وسارعوا إلى السجود .
لكن واحداً من بينهم هو إيليس استكبر وغُرّ عليه أن يكون مع الساجدين ، فغضي
الله وكان من الكافرين ..

١١١
وَسَأَلَهُ رَبُّ الْعِزَّةِ : « مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَتُكَ ؟ »

لقد أمرتك أن تسجد للذي خلقك بيدي ... فهل منعتك استكبار أو تصورت
نفسك أنت فرق الخلق ، وأعلى من الملائكة الذين أطاعوا ؟ ..
فكان جوابه : إنه خيرٌ ممَّن أُمِرَّ بالسجود له ، ذلك لأنَّه حَقِيقٌ من النَّارِ ، أما
هذا الخلق فهو من الطين ..

وغلل بجهله أن الذي خلقه من النار هو الذي أمره بالسجود ... ولكن كفره
 واستكباره أغفلنا أمامه باب النعم ، وفتحنا عليه باباً من العذاب والهوان لا يغتنى
أبداً .. فقد طرده الله من رحمته ، وأخرجه مما هو فيه من نعم وأثره من المكانة
العالمة التي كان فيها ، وحُلَّتْ به لعنة الله ، منذ تلك اللحظة التي عصى فيها ، وإلي
يوم لا نهاية له .. هو يوم الدين .. يوم القيمة .

ولقد اشتد يحدُّ إيليس على من سبَّ له ما حلَّ به ، فدعاه ربُّه أن يُستيقِّنه ويجهله
ويتركه حيَا دون هلاك إلى يوم البعث ..

قال له سبحانه : « ... فَانْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، إِلَّا يَوْمُ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ». وهذا أقسم
إيليس بعزة الله وعظمته ، وواسع قدرته ، أنه لن يُفْلِتَ من غوايه واحد من أبناء
آدم ، وأنه سُلْطُونٌ ، وُصِّنَّعَ لهم الشر ، ويعصرفهم عن كل طريق مستقيم ، وأنه لن
يُفْلِتَ من غوايته وإخلاقه إلا من أخصاصه الله له ، واصطفاهم لمجادته ومحض
بالإيمان الراسخ ، والعمل الصالح ، والتزام ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، لأنَّه لا
يقدر عليهم وقد احتمروا بهذه الحياة التي تهضمهم ، وتحول يَتَّهِي وبِئْرِهم .

(١) سورة الأعراف : ٦٢ .

ولقد قال الله سبحانه وتعالى : إن الحق لا بد أن يسيطرا ، وأن يعلو ، وإن الباطل لا بد أن يُزْهق .

.. والحق كلمة الله ، ولا يقول سبحانه غير الحق ، ولقد جرت مشيئته أن يتأل المسئ حِزَاء إِسَامَة ، والمتحرف نتيجة لغراه ، وأن إبليس إذا كان قد توعّد بالإغراء ، فإن حِنْ الإغراء ، والغواة أن يلقا في النار ..

فإبليس حين يُعُوي يُخرج من طريق الحق إلى طريق الباطل ، والذين يستجيبون له ويتبعون باطله ، يتظاهرون جميعاً حِزَاء العادل ، والمصير الحق ، الذي قضى به الله سبحانه وتعالى .

ذكر للعلميين :

بعد كل ما عرضته السورة من أحوال الأنبياء ، وما كان منهم مع أقوافهم ، وما عرضت له من حِزَاء للطاغيين ، والمحاصاة المفتنيين ، وما عرضه الرسول - عليه الصلاة والسلام - من صور للغيب أعلمها الله بها للإنذار والتحذير - أمره أن يقول لهم : إن ما يهدّيهم الله إليه من الخير ، وما يدهم عليه من الفلاح ، إنما هو رسالة الله إليهم ، يبلغها لهم لا يسلمون - محمد - على إبلاغها أجرا ، ولا يطلب منهم على أدائهم ثمنا ، لا قليلا ولا كثيرا ..

.. ورُدّ ذكرهم أنهم يعرفونه من قبل ، ويعرفون صدقه وأماته وأنه لا يمكن أن يُشَحِّلَ الرسالة ، أو يُذْهِيَ ما ليس بحق ..

.. ونبيهم إلى أن ما جاءهم به إنما هو : عِظَةٌ بالغة ، وندِكْر لـكل العالمين من الإنس والجن ، وأن خبرهم في الإيمان به والاستجابة له ، وإطاعة ما يأمر به ، والابتعاد عما يُحذِّر منه ..

.. ثم يؤكد لهم أن معرفتهم لصحة ما جاء به ، لن يكون بعيداً وأن الأيام لن تطول ليعروه حقائقه وصدقها ، وتحتم الآيات بتبيّنهم إلى طاعة الله ، والاستجابة له قبل أن يفوت الأوان ، ورُدّ ذكرهم بعد حثائهم ، أن ما جاءهم به الرسول كان الحقُّ والحقُّ ، ولكنهم كاذبو ، ففاحضوا الحق ، وأوقعوا أنفسهم في المصير الأليم .

سُورَةُ الزُّمْرِ مَكَبَّةُ
وَآيَاتُهَا حَسْنٌ وَسَبْعُونَ
نَزَلتْ بَعْدَ سَبَا

سورة: «الزمر»

التمهيد:

القرآن الكريم كتاب الله ، أنزله بالحق ، تبياناً لعظيم قدرته سبحانه ، واستحقاقه وحده العبادة الخالصة ..

فالمؤمنون له وحده ، والذين يعبدون غيره محرومون عن الحق صالحون ، وكذلك من ينسبُ له الولد والزوجة ..

فإله خلّق علِم ، لا حدودٌ لقدرته وعظمته وملكه ، لا يشاركه في ذلك كله أحد ، ونعمه سبحانه مبنية في كل ما تقع عليه عين الإنسان ..

فن شكر وآمن فله خير الجزاء ، ومن كذب وانحرف فله سوء العاقبة ..

والسورة تفتح الحال رحباً أمام من أخطأ ثم ندم على ذلك وتاب ، فإن هؤلاء يمحو الله ذنوبهم ، ويغفر لهم ما ارتكبوه من معااصٍ ، وبدل سيئاتهم حسناً ، ويدخلهم في رحمته . ويغسل لهم مكاناً في جنات النعم ..

أما الذين يصرون على الكفر فلهم المأlord في نار الجحيم جراء كفرهم وعادهم .. خسروا الدنيا بکفرهم ، وخسروا الآخرة بما خبيءوا في حياتهم ..

وعددت الآيات - بعد ذلك - بعضَ نعم الله ، ومن أبرزها ذلك العور الذي هدى الله الناس إليه ، ومن عليهم به ، ليتبرّجوا بهم ووصلح بهم لياليهم وأيامهم ، وكيف يفلح من يستضي به ، ويجزى من ينعرف عنه ..

كما تحدثت الآيات عن القرآن الكريم ، وبينت : كيف ضرب الله الأمثال فيه ، توجهاً للناس ، وتعلّمها لهم ، تذكرة وتنصيراً ، في لغة عربية مستحبة ، لا يغوص فيها ولا لحن .. من ألقى قلبه إلى هديه استقرّ به التقوى ، وأصبح من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله وحده ، وأسلوا قيادهم لرّبهم لا يشركون به أحداً ..

ثم تختتم الآيات بأن الموت عن على الجميع ، وأن القيمة آتية ، وسيعرفون يومها أنهم لم يسلكوا في حياتهم الطريق المتّحة التي كانت تضمن لهم في الآخرة ما أكثروا تدعّهم به - يا محمد - من الخبر والغلاخ ، والنعيم المقيم ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَرِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ① إِنَّا أَنزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ②
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ أَنْهَاكُوا مَالَيْهِمْ وَأَنْهَدُوا مِنْ دُونِهِمْ أُولَئِكَ
مَنْ عَبَدُوهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُوْنَا إِلَى اللَّهِ رَبِّنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِذِيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِيْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ
كُفَّارٌ ③ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُجْزِيَ وَلَدًا لَا أَنْظَطَنِي مَا يَحْكُمُ
مَا يَشَاءُ بُشَّرَهُمْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْغَيْرُ ④ خَلَقَ
الْمَنَوْتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ بُسْكُورُ الْأَيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَبُسْكُورُ النَّهَارَ عَلَى الْأَيْلِ وَبَخْرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كُلُّ
يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمٍّ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَافِرُ ⑤ خَلَقَكُمْ
مِنْ تَغْيِيرٍ وَجَاهَهُمْ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ
الْأَنْعَمِ نَعْيَةً أَرْوَحَهُمْ بِخَلْقِكُمْ فِي بُطُونِ أَمْهَاتِكُمْ خَلَقَهُمْ

مِنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلْمَتِ تَلَكٍ ذَالِكُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنْ تَصْرُفُونَ ⑤ إِنْ تَشْكُرُوا
 فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفُرُ وَإِنْ
 تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَرْزُقُوا وَازْرَةٌ وَزَرٌ أُخْرَى ۖ ثُمَّ إِنْ
 رِبُّكُمْ مَرِجُعُكُمْ فَبِئْسُكُمْ إِعْمَالُكُمْ تَعْمَلُونَ ۖ إِنَّهُ عَلَيْهِ
 يَدَاتِ الْأَصْدُورِ ⑥ * وَإِذَا مَسَ الْأَنْسَنَ ضُرُّ دَعَا
 رَبَّهُ مُنْبِأً إِلَيْهِ ۖ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ سَبَّى مَا كَانَ يَدْعُوا
 إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا لِيُضْلِلُ عَنْ سَبِيلِهِ
 قُلْ تَعَنْتُ كُفُرَكَ قَلْبًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَخْبَتِ النَّارِ ⑦
 أَمْ هُوَ قَدِيتُ ۖ أَنَّاهُ أَلَيْلٌ سَاجِدًا وَقَاعِدًا يَحْذَرُ الْآثِرَةَ
 وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
 لَا يَعْلَمُونَ ۖ إِنَّمَا يَذَّكُرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ⑧

معاني الكلمات والجمل:

- عَلَيْهِ لَهُ الدِّين : يختص الله وحده بالعبادة والطاعة .
- لَهُ الدِّين الْخالص : الله وحده التعبد الحالي من الشرك ونحوه .

أولياء	: ما يُعنى من أقسام ومحوها .
زلي	: مزلة قرية ومكانة عالية .
لامقطى	: لاختار وانتفى .
سحانه	: نزء وتعال وتفدى عن كل ما لا يليق بذاته من المائنة والمشابهة .
يذكر الليل على النهار	: يدير الليل على النهار ، ويبلغ أحدهما على الآخر فيستره ويخفيه .
سحر الشمس والقمر	: ذلكها وأصحابها لما خلقا من أجله ، وما يخفى مصلحة الإنسان .
لأهل مُسْتَشِّي	: لوقت معلوم محمد يعلم سحانه .
أزل لكم	: خلق لكم .
الأمام	: هي : الإبل والقر والضأن والمعز .
خلفاً من بعد خلق	: حالة من بعد حالة .
ظليات ثلاث	: ظلمة العطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة الشبعة .
فاني أُضْرِفُون	: فكيف تصرفون إلى عادة غير الله .
لاترر وازرة وزر أخرى	: لا تحمل نفس آئمه إثم أخرى .
فيتكم	: فيحرككم ويعطكم .
ذات الصدور	: ما استقر في القلوب من أسرار .
ضر	: شدة ومحنة .
منيا إليه	: راجحا إليه مستينا به .
خُوَلَه يغمسه	: أعطاوه وملأوه ، ومنحه خيراً كثيراً .
أندادا	: أنتلا وشركاه يهدى من دونه تعالى .
قات	: مطبع خاص للسحانه .
آناء الليل	: ساعاته .
بحذر الآية	: يخاف ويعتني عذاب يوم القيمة .

الشرح

الدين الخالص:

القرآن الكريم كتاب الله القوي الغالب ، الحكم في تدبره ، الذي يعرف حاجة الخلق وما يصلح شأنهم ، والذي بيده كل شيء ، فيمضي ويعطى .. ويعز ويدل ، وبمحاري المحسن على إحسانه ، ولا يغلط الخالق العاصي من الجزاء الذي يستحقه . أزل - سبحانه وتعالى - القرآن هاديا إلى الحق والعدل ، آخذا بيد الناس إلى المهدى والطريق القوم ..

ولقد ترک القرآن الكريم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان أول مدحٍ
إلى الإيمان به ، وطاعة الله فيها أمر فيه .

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بالعبادة الخالصة له ، وبالطاعة الكاملة له سبحانه ، والأمر في ذلك متوجه إلى المؤمنين أيضاً بأن يعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأن تكون عبادتهم وطاعتهم تامة لا تختلط برباء ولا نفاق ، لأن الله سبحانه وتعالى هو وحده الخالق ، الذي لا شريك له في خلقه ولا في ملائكة ، والذين يعبدون مع الله آلة أخرى صنعواها بأيديهم ، أو مما خلقه الله لهم وسخره لتفعيلهم ، ويتصورون بذلك أنهم لا يستطيعون التوجه لعبادة الله من غير واسطة - هؤلاء الذين يفعلون ذلك لغيرهم معموداً لهم هذه الباطلة إلى الله سبحانه وتعالى ، صالحون متصرفون ، وسوف يجزيهم الله على ضلالتهم وباطلهم ، وانصرافهم عن العبادة الحقة والعقيقة السليمة التي هدى إليها أهل الإيمان والطاعة ، وسيندوّ هؤلاء المكذبون الكفار نتيجةً لبعدهم عن المهدى وانصرافهم عن الحق .

ولقد حاول هؤلاء الكفار أن ينسبوا إلى الله الأولاد والشركاء ، كذباً وبهتاناً ، فكل ما نسبوه إليه سبحانه إنما هو من خلقه وإبداعه ، وهو وحده صاحب السلطان على جميع خلقه وهو الواحد الذي لا شريك له ، ولا يملكه شيء ولا أحد ، وهو القاهر فوق عباده .. الغالب .. القوي .. فكيف يكون له ولد ! وكيف يكون له

شريك؟ ولو شاء لاختار من خلقه أفضل مما ينسبون إليه ولا يحير بذلك ، ويشبه ..
ولكنه - سبحانه - رُؤْءَ ذاته عن ذلك ، وأكَّدَ هذا في أكثر من موضع .. وكان مما
قال عز من قائل :

وَرَبِّلَدَ وَلَمْ يُولَدْ ② وَلَرَبِّكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَدْ ①

نعم الله بين الجحود والشكير :

تبدأ الآيات هنا بـ عدد نعم الله سبحانه وتعالى على عباده ، وذلك بعد أن بيت
الآيات السابقة وخدانية الله وقدرته ، واستحقاقه وحده للعادة الخالصة فبدأت
الآيات تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد خلق السموات والأرض بحكمة بالغة ،
وتقدير حكم ، ونظام دقيق ، وجعل علاقة الأرض بما حولها من الكواكب -
وخاصة الشمس والقمر - علاقة قائمة على موازين ثابتة ودورات متتظمة ، ليكون
في ذلك كله صلاح البشرية ونعيها مصالحها ، وتوجيهها للناس أن يعشوا في جوانها ،
ويعملوا ما فيه صلاح دينهم وأخريهم ..

هذا هو الليل بيدهه الله ولعله على النهار فيستره ويذهب عنه ضوءه ، فيخلد
الناس إلى الراحة والسكنى من عناء ونب النهار ، ومشقة العمل فيه .. ثم إذا تم
لهم ذلك أدار النهار على الليل فتحا ظلمته ، وأضاء جوانب الأرض لينشط الناس
إلى أعمالهم ، ويعملوا ما فيه صلاح حياتهم .. وفي تعاقب الليل والنهر يطرب الليل آنا
فيقصر النهار ، ويطول النهار آنا فيقصر الليل ، لحكمة بالغة ، وغير عميم .

ومن دلائل قدرته التي ساقها الآيات أنه - سبحانه وتعالى - جعل الشمس
والقمر تدوران في أفلاكها بدقة وإحكام ، في مدارات محددة ، وتوفيت دقيق
فيكون من ذلك المراسم والقصور ، مما تتجدد على أساسها مصالح الناس في زراعتهم
وتحصيل منافعهم ولمرة السنين والشهور .

والمتأمل لذلك كله ، يراه ويشاهده ، ويرى آثاره في حياته وحياة الناس من
حوله - يدرك عظمة الله سبحانه وتعالى وقوته ، وعظم قدرته ، وواسع كرمه إذ فتح
للتائبين الراجعين إليه أبواب العفو والمغفرة ..

(١) سورة الإخلاص : ٣ + ٤

ومن دلائل قدرته سبحانه وتعالى خلق البشر - على كافة أعدادهم في المشارق والمغارب منه بهذه الخلق إلى أن تنهي الحياة - من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وبعد ذلك خلق من هذه النفس زوجاً لها هي حواء .. وبهذا كان تكاثر هذا الخلق الكبير ..

ومن نعمه سبحانه الواسعة على الإنسان : أن خلق له من الأنعام ما ينخدع منه الطعام واللباس والسكن .. فالليل والنهار والماضي والماضي أصناف ، ومن كل صنف منها ذكر وأنت .. وهذه الغائية التي خلقها الله ، وسحرها للناس ، لها أصوات وألوان ، وجلوود وحم وعظام ، وكل هذه الأشياء يتبع بها الناس ، ويتحدونها لصالحهم وأغراضهم المتعددة .. ومن قدرته سبحانه وتعالى ونعمه : أن خلق الناس على مراحل متعددة حالة من بعد حالة ، في ظليات ثلاث يتوافق معها ما ذكره العلامة ، حيث ذكروا أن الظلities هي : ظلة البطن ، وظلة الرحم ، وظلة المشيمة (وهي الكيس الذي يخلف الجنين).

تلك آيات بيّنات وأدلة ، يراها الإنسان كل يوم ، تذكره وتذله - لو تأمل وتذير - على خالقه ورازقه ، وتركه وحدانيته سبحانه ، وبدفع صنعه ، وأنه - جلت قدرته - الواحد الأحد ، لا إله إلا هو ، مالك كل شيء ، لا يشاركه أحد ، ولا ينزعه مزارع . فكيف تكفرون به ، فتنصرفوا إلى عبادة غيره !

ثم بعد أن عدّت الآيات تم الله سبحانه وتعالى على الخلق ، واجهتهم بأن إيمانهم بالله ، وطاعتهم لأوامره ، واجتاحتهم لما يشاهدونه ، إنما هو لهم ، مخبرهم ونفعهم وصالحهم في حياتهم الدنيا ، وفي آخرتهم .. وأن الله سبحانه وتعالى غني عنهم وعن إيمانهم ، ولكنه رضى لهم الإيمان رحمة بهم ، ولا يرضي لهم أن يخربوا عنه ، ويعيلوا عن الحق والخير ، وينحرفوا إلى الكفر والصلال ..

.. ويرضى لهم الطاعة وشكر النعمة ، وبمحاري عليها غير الجزاء .. وهو سبحانه عادل مع خلقه ، فلا يأخذ إنساناً إلا بذنبه ، ولا يمحاري أحداً بما يفعله غيره ، فالنبي يحاسب على إساءاته ، لا على إساءة الآخرين ..

ولقد بدأ الله الخلق ، وإليه يتبرون ، .. فرجع الكل أخيرا إلى الله سبحانه وتعالى .. يعرض عليهم أعمالهم التي عملوها في دنياهم بعد أن أحصاها عليهم ، وسجلها لهم .. وهو العليم بكل ما يظهر وبعنه ، فلا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء كثراً أو صغار حتى إنه - سبحانه - يعلم ما يجتازه الناس في ثورتهم ، ولا يعلم به أحد سواهم .

والإنسان متقلب في حياته إذا زلت به حنة أو مصيبة أو اشتدت به الحاجة لأمر من الأمور ، جلأ إلى حالقه سبحانه وتعالى ، ضارعاً داعياً ، متذلاً خاضعاً ، يطلب فضـاء حاجته ، أو كشف كربـته ، فإذا قضـى الله حاجـته ، وحقـقـ له آمالـه وـمـطـالـه ، نـسـيـ خـضـوعـه ، وـإـقـالـه عـلـى الله وـلـجـوهـه إـلـيـه ، وـاتـصـرـفـ عـن طـاعـهـ وـعـبـادـهـ ، وـضـلـ عـن طـرـيقـ الصـرـابـ ، ظـلـحـاـ لـغـيرـ اللهـ ، وـاسـتعـانـ بـسـوـاهـ ، وـانـغـرـفـ عـنـ المـدـىـ ، وـجـرـ غـيرـهـ مـعـهـ إـلـى الصـلـالـ مـسـتـخـدـمـاـ نـمـ اللهـ الـتـيـ مـنـحـهـ إـلـيـاهـ فـلـمـ يـشـكـرـهـ وـلـمـ يـعـتـدـ اللهـ عـلـيـهـ ، فـيـقـالـ لـهـ : إـذـا تـصـوـرـتـ أـنـ مـاـ أـتـ عـلـيـهـ دـامـ ، وـأـنـ نـمـ اللهـ الـتـيـ كـفـرـتـ بـهـ سـتـقـلـ بـلـاـ هـاـيـةـ قـدـ وـهـتـ وـغـلـفـتـ ، وـأـنـ مـاـ سـتـعـنـ بـهـ مـنـ نـمـ فـيـ حـالـةـ كـفـرـكـ إـنـاـ هـيـ اـخـبـارـ وـأـمـحـانـ لـاـ يـطـولـ الـوقـتـ فـيـهـ ، وـبـأـيـ بـعـدـ الـمـوـتـ ، وـيـسـطـرـكـ بـعـدـ عـذـابـ اللهـ وـخـلـودـكـ فـيـ النـارـ .

هـذـاـ إـلـاـسـانـ هـوـ إـلـاـسـانـ الـذـيـ لـمـ يـفـعـلـهـ المـدـىـ ، وـلـمـ يـسـكـنـ قـلـهـ الـإـعـانـ ، أـمـاـ أـهـلـ الـإـعـانـ فـلـتـمـ إـذـاـ أـصـاحـهـ مـكـروـهـ صـبـرـوـاـ عـلـيـهـ ، وـإـذـاـ حـقـنـ اللهـ آمـالـهـ شـكـرـواـ التـنـعـ ، وـسـمـدـوـاـ فـضـلـ اللهـ فـأـجـاهـمـ حـيـاةـ مـلـطـتـةـ وـلـمـ فـيـ آخـرـهـمـ خـيـرـ حـزـاءـ . هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـعـبـدـونـ اللهـ - سـبـاحـهـ وـتـعـالـىـ - وـلـاـ يـغـلـبـونـ لـحـظـةـ وـاحـدـةـ عـنـ طـاعـهـ وـرـضـاهـ ، وـيـقـضـوـنـ لـيـلـهـمـ فـيـ طـاعـهـ وـعـبـادـهـ ، وـلـجـوهـ إـلـىـ اللهـ - سـبـاحـهـ وـتـعـالـىـ - وـخـشـبـةـ أـنـ يـكـوـنـوـاـ مـنـ الـمـعـدـيـنـ عـنـ رـحـمـةـ رـبـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ .

هـؤـلـاءـ هـلـ يـكـنـ أـنـ يـسـاـوـوـاـ عـنـ يـقـضـيـ حـيـاتهـ وـلـيـلـهـ وـسـهـارـهـ غـافـلـاـ عـنـ ذـكـرـ اللهـ وـطـاعـهـ ، لـاهـاـ وـعـابـتـاـ . لـاـ يـقـيمـ وـرـنـاـ لـحـيـرـ ، وـلـاـ يـفـكـرـ فـيـ الـآـخـرـةـ ، وـلـاـ يـشـكـرـهـ نـمـ اللهـ عـلـيـهـ وـلـاـ يـلـقـيـ بـالـآـيـاتـ الـهـيـةـ مـنـ حـوـلـهـ ، وـكـلـهـ نـاطـقـ بـعـطـتـ سـبـاحـهـ وـقـدـرـهـ . كـيـ تـذـلـ الـآـيـاتـ عـلـىـ شـدـةـ حاجـتـهـ كـمـحـلوـقـ إـلـيـهـ سـبـاحـهـ . وـأـنـ حـيـاتهـ مـهـاـ اـمـدـدـتـ فـلـانـ سـبـابـهـ لـاـ يـدـ قـادـمـةـ وـأـنـ المرـجـعـ إـلـىـ اللهـ وـحـدـهـ ، وـلـاـ يـسـرـ ذـلـكـ إـلـاـ لـأـصـحـابـ الـقـوـلـ النـاسـجـةـ وـالـأـهـمـ الـمـسـتـنـيـرـةـ .

الآيات من ١٠ - ٢٠ من سورة «الزمر»

فُلْ يَعْبُدُ الَّذِينَ ءاْمَنُوا اَنْقُوْرَيْكُ لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا فِي هَذِهِ
 الْأَذْيَا حَسَنَهُ وَارْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ اَبْرَاهِيمُ
 يَغْتَرِرُ حَسَابٍ ⑩ فُلْ إِنِّي اَمْرَتُ اَنْ اَعْبُدَ اللَّهَ مُحْصَلًا لَهُ
 الَّذِينَ ⑪ وَامْرَتُ لَانْ اَكُونَ اُولَ الْمُسْلِمِينَ ⑫ فُلْ إِنِّي
 اَخَافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ⑬ فُلْ اَللَّهُ اَعْبُدُ
 مُحْصَلًا لِهِ دِينِي ⑭ فَاعْبُدُو مَا شَتَّمْ مِنْ دُونِهِ فُلْ إِنِّي
 اَلْخَسِرُونَ الَّذِينَ خَسِرُوا اَنفُسَهُمْ وَاهْلِهِمْ بَوْمَ الْقِبْسَمَةِ الْأَلَا
 ذَلِكَ هُوَ اَلْخَسِرَانَ الْمُسْلِمِينَ ⑮ هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلْلَ مِنَ النَّارِ
 وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْلَ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ يَهُ عِسَادُمْ يَعْمَادُ
 فَاتَّقُونَ ⑯ وَالَّذِينَ اَجْتَنَبُوا الْطَّاغُوتَ اَنْ يَعْدُوْهَا وَانْبُوْا
 إِلَى اللَّهِ هُمُ الْبَشَرَى فَبِشِّرْ عِبَادٍ ⑰ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ اَلْقَوْلَ
 فَيَتَّبِعُونَ اَحْسَنَهُ اَوْتِيكَ الَّذِينَ هَدَنُوهُمُ اللَّهُ وَاوْتِيكَ هُمُ اُولُو

الْأَلْبَرِ ⑤ أَفَنْ حَنَّ عَلَيْهِ كَمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْ تُنْقَدُ مَنْ فِي
 الْأَنْلَارِ ⑥ لَكِنَ الَّذِينَ آتَيْنَا رِبَّهُمْ لَهُمْ غَرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا
 غَرْفٌ مَّبْيَنَةٌ تَجْزِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَتْهَرُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ
 اللَّهُ الْبِعَادَ ⑦

معاني الكلمات والجمل:

يُوقَى الصابرون	: يعطون أجورهم يوم القيمة عظيمة لا تمحى ولا تعدل.
عصيت ربِّي	: تركت أوامره ، وخالفت أحكماته.
عذاب يوم عظيم	: الخلوة في الجحيم يوم القيمة.
فاغيدوا ما شتم من دونه	: اجلعوا عاداتكم لما زردوه غير الله ، وعاقبتكم حيث قدرتم كل خير.
الخسران المبين	: الخسارة الواضحة التي لا حصران بعدها.
ظلل من النار	: طبقات من النار كثيرة متراكمة.
اجتبوا الطاغوت	: ابتعدوا وترعوا أنفسهم ، وأعرضوا عن عبادة الأولان والشيطان.
أنابوا إلى الله	: رجعوا إلى عبادته سبحانه وحده.
حتى عليه	: وجب وثبت عليه.
كلمة العذاب	: وعهد الله بمكافحة المصابة.
لهم غرف	: لهم منازل عالية.

الشرح

بشارة .. وتحريف:

بوجه الله سبحانه وتعالى رسوله في بداية هذه الآيات إلى أن يدعى عباد الله الذين آمنوا به ، وَمَا نَزَّلْ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَتَّمِّمَا طَاعَةَ الله ، وَيُزِيدُوا فِرَمِهِ مِنْهُ ، وَذَلِكَ باللِّدَاعِمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَمَرَاقِيَ اللهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَمَعَ كُلِّ شَأْنٍ مِنَ الشَّفَوْنِ ، وَاعْدَاهُ إِيمَانُ أَنَّهُ أَنْتَ عَمَلَ بِعِلْمِهِ - إِرْضَاءَ اللهِ وَتَقْرِيرًا إِلَيْهِ - لَا يَضُعُ عَنْهُ سُبْحَانَهُ ، وَأَنَّ الَّذِينَ يَعْسُونَ يَلْقَوْنَ مِنَ اللهِ الْإِحْسَانَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى أَنَّ الْأَرْضَ كَلْهَا اللهُ ، وَأَنَّهَا وَاسِعَةٌ غَبِيبَةٌ ، فَلَمَّا ضَاقَ بِالْمُسْلِمِ بَلَدُهُ فَطَلَّهُ أَنْ يَسْعَى فِي أَرْضِ اللهِ طَلْبًا لِلرِّزْقِ ، أَوْ حَفَاظًا عَلَى الْمُقْبِدَةِ ، أَوْ جَاهَةً لِغَرْمِهِ أَوْ مَالِهِ ، أَوْ إِعْلَاهُ لِكَلْمَةِ اللهِ ، مَعَ مَا يَكْنَى أَنْ يَصَادِفَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ مُشَكَّاتِ وَمُتَاعِبِ ، وَصَحَابِ وَعَقَبَاتِ ، وَمَعَ مَا يَمْأَنِيهِ فِي بَعْدِهِ عَنْ بَلَدِهِ الَّذِي شَأْنَ فِيهِ ، وَتَكَوَّنَتْ لَهُ فِيهِ عَلَاقَاتٌ وَرَوْابِطٌ وَمَعَ مَا قَدْ يَلْقَيْهُ مِنْ أَذَى ، وَهُوَ إِذَا غَلَّ ذَلِكُ ، وَهَاجَرَ فِي أَرْضِ اللهِ الْوَاسِعَةِ ، وَصَرَّ عَلَى مَا يَلْقَيْهُ ، فَلَمَّا ضَعَفَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَضُعُ سَعِيهِ ، بَلْ يَوْقِيْهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى صَبْرِهِ ، جَزَاءُ فَوْقِ كُلِّ تَقْدِيرٍ ، وَكُلِّ حَسَابٍ .

وَأَمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ أَنْ يَعْلَمْ : أَنَّهُ أَمْرٌ أَنْ يَعْدِهِ وَحْدَهُ ، وَأَنْ يَخْلُصَ لَهُ طَاعَةُ ، وَالْمَبَادَةُ ، وَأَنْ يَسْلِمَ قِيَادَهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَكُونَ أُولُو الْمُتَجَبِّينَ طَاعَةً لِلأَوْامِرِ ، وَاجْتِنَابًا لِلنَّوَاهِي ..

وَأَنَّهُ مِنْهُمْ مَأْمُورٌ مَا يُؤْمِرُونَ بِهِ ، مَحَاسِبٌ عَلَى أَعْمَالِهِ كَمَا يَحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَأَنَّهُ يَخْافُ إِذَا خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَارْتَكَبَ مُعْصِيَةً مِنَ الْمُعْصِيَةِ ، أَنْ يَلْتَحِقَهُ العَذَابُ

الْمُظْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ، كَمَا يُلْقَى الْمُعْصَمَةُ وَالْمُذَنبُونَ ..

وَلَذِكَ فَهُوَ يَخْلُصُ عَبَادَهُ تَهْ وَحْدَهُ ، وَلَا يَغْتَرُ عَنْ طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ آنَاءَ لَيْلٍ أَوْ أَطْرَافِ نَهَارٍ ..

**فَلَذَا أَرَادُوا النَّجَاهَ فَلَبِسُكُورًا طَرِيقَهُ ، وَيَتَرْمُو مَادِعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ
الصَّالِحِ ...**

أما إذا ظلّوا على ضلالهم ، ويقروا على عبادتهم لأصنامهم من دون الله ، فيلتفتون
ماشأوا ، وقد حسروا سلامة الدنيا وضيّعوا في الآخرة أنفسهم ، وكتبوا علينا الذلة
والخزي والهوان والعداب المقيم ، كما حسروا أهلهم في الآخرة ، فلا ينتفعون
بأزواجهم وأولادهم كأهل الجنة بإنجذابهم في العيم المقيم ..
وليس أشد خسارة على الناس من أن يكون بهم الغير والسعادة فتبصر بها
ويستبدلون بها الشقاء والعداب والهوان ..

وإذا كان من يفعل ذلك في الدنيا يخسر خسارة شديدة ، فإن الذي يخسر عم
الآخرة يكون أدنى خسارة . وأقصى عاقبة ..

ومن بين أنواع العذاب الذي سيلاقونه في الآخرة - تأكيداً لخرافتهم - أئم
يُظَلَّلُونَ بالثار ، طبقات من فوقهم طبقات ، ومن تحتمم كذلك طبقات .. وهذا
الذى يلاقيه المشركون بربهم هو الذى يخدر الله عباده أن يوقدوا أنفسهم فيه ، أو
يُشَعُّوا بأعياهم إليه ، لذلك فهو يدعوهم إلى مراقبته وطاعته ، واجتناب معاصيه ..

الذين هدى الله:

أما الذين يختبن عن عبادة غير الله ، ويستعدون عن طريق الشيطان وأصحابه الذين
يزبون الشر ، ويدعون إلى اقraf المعاشي .. هؤلاء الذين يتعلّلون عن هذه
الشّرور ، ويرجعون إلى الله سبحانه وتعالى ، ويتربّون إليه إذا أخطلوا ، ويستعمون
الخير وما يتّفهم فيستجيبون له ويعملون به ، هؤلاء يشرّهم الله بالسعادة في الدنيا ..
وحسن العاقبة في الآخرة ، لأنهم الذين استجابت لهم هداية الله حين هداهم ، ولأنهم
فكروا بعقولهم ، وتدبروا آيات الله ، فازدادوا هدى وقربا وإيماناً وصلاحاً ..
ولقد كان رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شديد الحرص على إيمان قومه ،
وخلصهم مما هم عليه من الكفر ، وما يتّظرون من العذاب في الآخرة ، وكان يعزّ
عليه كثيراً لا يستجيب لدعونه من يريد لهم الخير ، وسيجيئ لهم الآخرة والنجاة ، ولكن

بعض الناس يتعلّق قلبه ، فلا يستجيب للهدي ، فيتحقق عليه العذاب فلا يملك أحد إيقاده مما أوقع نفسه فيه من عذاب ، ولا يملك أن يخرجه من النار ، والأية تبين للرسول - صل الله عليه وسلم - : أنه لا يرضي ولا يقبل أن يتقدّم من أغضب الله فاستحق عذابه ، وهو كذلك لا يستطيع ذلك ، وإذا كان الرسول - صل الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يتقدّم أحداً من النار فهو يستطيع غيره أن يفعل شيئاً من هنا ؟

أما الذين يستجيبون الله ، ويراقبونه ، ويعلمون أنه يراهم ، ومحض عبدهم أغاظهم ، فلا يخالقون أمره ، ولا يفعلون ما يُغضبه ، فقد أعد الله لهم نعماً دائمًا . وإذا كان عذاب أهل النار طبقات من النار تعلوهم ، وطبقات تكون أدنى منهم ، فإن أهل الطاعة في مقابلتهم يعيشون في قصور عالية فسيحة طبقات بعضها فوق بعض . مليئة بما يُسعد النفس وُيُريحها ، ومن تحnya حدائق غناء ، تخري الأنهار فيها كمالاً ليجتازها ، وزراعة لروتها .. وهذا بعض ما وعد الله به أهل طاعته ..

يُدخلهم جنات ..

(١)

وَفِيهَا مَا تَسْتَهِيْهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَدُّدُ الْأَعْيُنُ

رأيت ، ولا أدنى سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من المتع الحسية والروحية .. كل ذلك الذي وعد الله به عباده لا يختلف ، بل يتحقق كما وعد به سبحانه .. ومن أصدق من الله حديثاً .. ١٦٠ ..

* * *

(١) سورة الزمر : ٧١ .

الْمَرْأَةُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَا كَفَى فَلَمَّا
 يَنْتَسِعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرُجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَوْنَهُ فَمَّا
 يَرْجُعُ فَتَرَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا
 لِأُولَئِكَ ۝ أَفَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرَهُ لِلْإِنْسَانِ
 فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، فَوَيْلٌ لِلْقَنِيْسَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ
 اللَّهِ أَوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ اللَّهُ أَنْزَلَ أَحْسَنَ
 الْحِدِيثِ كِتَابًا مُتَنَاهِيًّا تَقْشِيرُهُ مُتَّلِّدٌ جُلُودُ الدِّينِ
 يَخْشَونَ رَبِّهِمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
 ذَلِكَ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلُ اللَّهُ فَأَنَّ
 لَهُ مِنْ هَادِ ۝ أَفَنَ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءُ الْعَذَابِ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۝
 كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ

لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَإِذَا قُمُّهُمْ أَنْجِزَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۝ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝

معاني الكلمات والجمل:

- سلكه بابع : جمع ببع : وهو العين التي يجري ماؤها في باطن الأرض.
- والمعنى : أجزاء وأدخله في عيون له وبخاره.
- ختلفاً ألوانه : متعدد أصنافه وفوانه.
- بيح : يجف ، ونبس .
- خطاماً : فاتانا هنبا متكررا .
- لذكرى لأولي الألباب : لوعضة وعبرة لأصحاب العقول والتدبر .
- كتاباً مشابهاً : فرآنا مشابه آياته في الحكمة والهدابة والإعجاز .
- مشانى : تذكر في الحكم والاحكام ، ولا يُبتَلَ من هنا الكرار .
- تشعر : تضطرب وتتردد .
- تليس : تهدأ وتطعن .
- سوء العذاب : شدة العذاب وقوته .
- الجيزي : الذل والهوان .

الشرح

دعوة إلى التدبر والاعتبار:

توجه الآيات النظر إلى ما يقع تحت عين الإنسان من زرول المطر من السماء
 فيجري على الأرض ، أو يغوص في أعماقها ، يستخدم منه سُبُّلاً لزروغ متعددة الألوان
 والأشكال تمر بها الأيام فتشعر مختصرة زاهية ثم تجف وتبس ، فتصير فاتانا وهنبا
 متكررا .

وذلك تغسل للمرة الحية في الإنسان : يولد ثم ينمو ثم يشب ، فيصير رجلاً ثم يأنه الشب بعد ذلك فيبرم ، ثم يشيخ ، ثم تنتهي حياته ..

وكما يعيد الله الحياة للأرض الميتة فتحت الرزق ، كذلك يبعث الله الموتى وبعمرتهم من قبورهم فتحاسبهم ويجزهم ..

وكذلك فإن دورة الباب إِذَاً الحياة ثم ينمو وسرعه يذبل ويفوت وتهشم وكذلك الحياة الدنيا ، لا يطوي بها المدى ، وإنما هي قضيبة ، والرجوع بعد ذلك إلى الله ، والعاقل الصبور من يدرك ذلك ، وتعلم أنه راجع إلى ربه ، وأن الحياة منها مطالب فإن لها نهاية ، وأن المتع حن ، فجعل له ولا ينهاجا ..

كل ذلك يتذرع به أهل العقول السلبية ، فيعرفون قدرة الله ، فيطلبون أوامره ويعملون لآخريهم ، فخلص دينهم ، وتسعده آخريهم .

ولا يستوي من أنار الله قلبه وبصيرته ، وشرح صدره وعقله ، بالإسلام والهدى ، فاستقام على طريق الحق ، بهديه نور الله ، ويدأد أمامه ظلام الميزة والفضلة .. لا يستوي هذا أيضاً ومن عُلُّظ جهه ، وقبا قلبه ، وأظلم عقله ، فضل عن ذكر الله وانصرف عن هداه ، وأصبح في ظلام شديد ، يختبط في الضلال الشديد .

ولقد من الله على الناس برسالة حانية ، في كتاب عزيز **لَا يَأْتِيهُ الْبَطْلُ**

مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ⑭

هُيَدِي يَهِيَ اللَّهُ مِنْ أَتَيْعُ رِضْوَانَهُ سُبُّ اللَّهِ وَبَخْرُ جَهَنَّمَ مِنْ

الْظُّلْمَتِ إِلَى الْأَنْوَرِ يَهِيَ اللَّهُ وَيَهِيَهُمْ إِلَى صَرْطَنْ مُسْتَقْبِرِ ⑮

(١) سورة حصلت : ٤٢ - (٢) سورة المائدة : ١٦ -

هذا الكتاب الذي تضمن الرسالة الحاتمة تباعاً ، وتنكر عبده ، وأحكامه
ولا يزداد مع القراءة والتذكرة إلا حسناً وجلاً .. يتلوه الذين يخافون الله ويخشونه أو
يستمعون إليه ، فيتدبرون ما فيه ، ويفهمون أغراضه ومراميه ، وكلما مرت بهم آيات
لذكراهم بالآخرة ، ونحوهم جزاء المعاصي اضطربت وارتعدت جلودهم ، وخافت قلوبهم ..
فإذا ثنيت آيات الرحمة والمغفرة والتوب ، لاست الجلد والقلوب وأطمأن
النفوس بذكر الله .

وهذه حال من هداء الله ووقفه إلى الإيمان .

أما من يستمع إلى القرآن فلا يزور في قلبه ، ولا ينفت إلى ما يدعوه إليه ، ولا
يستجيب لهُدِي الله فيه ، فأولئك قد سلوا طريق الرشاد وما لهم بعد ذلك من
يهديهم ، ولا من ينفعهم من غضب الله .

وهؤلاء سبوا جهون في الآخرة لفتح الجحيم ، وألسنة التيران ، يتلقونها بوجههم
ولا يستطيعون دفعها عنهم .. فلابد لهم من حسنة مقتدية ، لا يمكن حراًكاً ولا هروباً .
هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وبالمعصية ، يقال لهم : هذا ما قدمتموه
لأنفسكم وتلك حصالات أعمالكم في الدنيا ذوقوها ، حرثة .. ولأنا .. وحرثا ..
وعذاباً عيناً .

ولقد كذب المشركون من أهل مكة رسول الله - صل الله عليه وسلم - ..
فيَهُنَّمُ الآيات إلى أنهم ليسوا أولى الملوكين ، فقد كذبوا أم من قبلهم أسماءها ،
فجاءهم العذاب من حيث لا يقدرون ولا يتوقعون ..

.. أنعم العذاب أنواعاً وأشكالاً ، فنهم من أصحابهم الصوابين ، ومنهم من
خسيف له وبداره الأرض ، ومنهم من دمر تمدراً فلما ذاقوا في الدنيا الخزي والمذلة ،
والعذاب الشديد ، وعذاب الآخرة أقسى وأعظم لشنته ودواجه .

وفي هذا تبيه لأهل مكة ، إلى أن إصرارهم على معاناتهم سيلحق بهم ما حلّ
بالعصابة الساقطة ، لو فکروا وتدبروا ما حظهم ، والعاقل من العظ بغيره ، فرجع عن
عناده وأفلح عن كفره .

٤

الآيات من ٣١ - ٢٧ من سورة «الزمر» (نهاية الجزء)

وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْفُرْقَةِ إِنْ مِنْ كُلِّ مَنْتَهِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ⑯ فُرْقَةً أَنَّا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ
لَعَلَّهُمْ يَشْفَعُونَ ⑰ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شَرَكَاهُ
مُشَنَّكُسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ
لِلَّهِ يَنْلَا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ⑱ إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ ⑲
ثُمَّ إِنَّكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكَ تُخْتَصُّونَ ⑳

معاني الكلمات والجمل :

غير ذي عوج : مستقيم لا خطأ فيه ، ولا تناقض ولا اختلاف .
شركاء متشاكرون : مختلفون ومتناحرون ، جمع : متشاكرون .. مُتعَبُونَ
ورجلًا سلامًا لرجل : حالماً ليس واحد .
محخصوصون : تجادلون ، وتحكمون إلى الله .

الشرح

طريق التقسوى :

ضرب الله للناس في القرآن أمثلات كثيرة ، ومواضع متعددة ، يمكن أن يأخذ منها
 أصحاب العقول السليمة ما يهدىهم إلى الحق ، وبنيتهم إلى الأخذ بما يصلح حالم
ويفهم عوچهم .

ولقد سهل الله للناس - وبخاصية من تزل علىهم القرآن - طريق التذكر
والاعتبار بأن جعل القرآن عربيا ، بلاتهم التي يفهمونها ، وتكلمون بها ، ومن غير

اختلاف في معايه . ولا انحراف عن الحق والصواب . فلعلهم بعد ذلك يتعدون عن الكفر والضلال ويفسرون على الإيمان والطاعة . والعمل الصالح ، فتحتفظ لهم الجنة . والغور برضوان الله .

ومن الأمثل التي ضربها الله في الآيات التي معنا - هؤلاء الذين يشتركون مع الله آلة أخرى .. ذلك المثل الواضح وهو: مثل الرجل (العبد) الذي يملكه جماعة من الناس فله مجموعة من النساء يأمرنه وينهونه، فهو يفهم حائز مرتبك: يأمره أحدهم بشيءٍ وبنهاء الآخر عنه، أو ينهاه واحد عن شيءٍ ويأمرُ الآخر به .. فهو لا يقدر على إرضاعهم ولا يستطيع تحقيق رغباتهم، ولا تنتهي أوامرهم ..

ثم هو عوقب ذلك لا يهدأ له بال ولا يفرّ له فرار ..
ثم يوضع في مقابل هذا، رجل آخر يملكه فرد واحد ، طيس له غيره من سيد .. إذا أمره بأمر ينفذ له ، وإذا نهاه عن شيءٍ أطاعه فهو هادئ النفس مستريح مستقر ..

ولا يمكن لعقل أن يجهل أن حال الثاني لا يقارن بحال الأول، وذلك .. مثالٌ منْ بعد الله وحده لا شريك له معه ، ومثالٌ من يتخذ من دون الله شركاء .. وإذا ثبت هذا فعليهم أن يحمدوا الله على أن دعاهم إلى الحق، وهذا لهم بالراحة والقرار ، ولكن أكثر هؤلاء الذين يستمعون إلى هدى الله في القرآن يقاومونه ويشتركون مع الله أوثانا ، ويتخونتها آلة ..

ولقد كان كفار مكة يشنون موت رسول الله - صل الله عليه وسلم - وكأنوا يتصرّرون أنه لم يأتوا ، فذكرت الآية لرسول الله - صل الله عليه وسلم ، أنه لا شك سيموت ، فهذه نهاية كل شيء ، وهؤلاء الذين يشنون موته أيضاً سيموتون ، وإن يخلدو أحياء فإذا جاء يوم القيمة بعث الله الناس ، وأخذ كل واحد منهم بحدال الآخر وناقشه ، ومن بين هؤلاء رسول الله - صل الله عليه وسلم - إذ يقول هؤلاء : إنه دعاهم إلى الإيمان ظلم يستحيوا ، ويردون عليه : بأنهم قلدوا الآباء ، واغتصروا بآبائهم ..

وحبيتني يحكم الله بين الخلائق ، وهو خير الحاكمين ..

* * *

.....	مدرسة :
.....	اسم الطالب :
.....	الصف :
.....	السنة الدراسية :

أودع بمركز المعلومات التربوية تحت رقم ٣٠٤ بتاريخ ٢٣/٥/١٩٨٨ م